جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
كلية الآداب واللّغات
تخصص أدب جزائري

عنوان المذكرة:

النزعة الدينية في الشعر الشعبي الجزائري
سيدي لخضر بن خلوف أنموذجا

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:
- سهام فحال.
- نورة فرحون.

إشراف الأستاذ:
الدكتور سالم بن لباد.

لجنة المناقشة:

- ✓ الدكتور آية الله عاشوري : رئيسا.
- ✓ الدكتور سالم بن لباد : مشرفا ومحققا.
- ✓ الأستاذ سعيد شيبان : عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

يعتبر الشعر الشعبي شكلا من أشكال الثقافة الشعبية الجزائرية هو سجل صادق يجمع مكوناتها الحضارية ،وهو رمزللهوية التي تميزنا بين بين الأمم ،وهوالمرآة الصادقة التي تعكس الحياة الشعبية فهو بالتالي ذاكرة الشعوب.

تأثر الشعر الشعبي كغيره بالثقافة ا لإسلامية الصوفية،فوجد الزهاد وشيوخ الطرق الصوفية في الشعر الشعبي متنفسا ووسيلة ناجعة لتعبير عما يتأجج في صدورهم من فيض المحبة الإلهية ويعبرون عن صفاء مشاعرهم وأصدق عواطفهم تجاه الله عزوجل ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،وزين الشعر الشعبي الصوفي بالمعاني العميقة وصور البديعة الموحية ،فحمل في طياته رسالتين ، الأولى منها روحية متعلقة بالذات الإلهية و ما يعتليها من عشق إلهي بصورة صافية ونقية ،و الثانية فهي رسالة جمالية فنية تتخللها رموز صوفية ، الأمر الذي أكسب الشعر الشعبي الصوفي رونقا وجمالا و سمة متميزة.

ولقد جاء بحثنا على هذا الأساس تحت عنوان "النزعة الدينية في الشعر الشعبي الجزائري ،بن خلوف نموذجا"،ومنه تشكلت لدينا تساؤلات أهمها ما يلي: ماهي مميزات الخطاب الشعري الشعبي عند الشاعر الصوفي لخضر بن خلوف ؟وما هي أهم خصائصه؟

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الإجراء التحليلي الذي يلائم وإشكالية البحث.

حيث قسمنا البحث إلى مقدمة ومدخل و ثلاثة فصول وأنهيناه بخاتمة تشمل مجموعة من النتائج المتحصل عليها في مراحل البحث.

المدخل عبارة عن مجموعة من أفكار تدوره حول حياة الشاعر أين تطرقنا إلى ذكر أصله،نسبه،مولده،نشأته تكوينه ثقافته،شخصيته ، ولايته الصالحة، وصياه ووفاته،و كل ذلك من خلال شعره.

وعنونا الفصل الأول بـ: "النزعة الدينية في الشعر الشعبي الجزائري"،تحدثنا فيه عن ظاهرة التصوف ومررنا بمراحل منها (نشأته،عصوره،خصائصه و مواضيعه،نزعة السلطة داخل الفكر الصوفي)،كما جاء الحديث عن الشعر الصوفي (نشأته،عصوره،وخصائصه ،ومواضيعه،وبعدها نخصص الكلام عن الشعر الصوفي الجزائري(بداياته ومواضيعه).

وجاء عنوان الفصل الثاني كالآتي:" الشعر الشعبي الديني الجزائري"

بينا فيه ماهية الشعر الشعبي ونشأته وشكل القصيدة فيه،لنعرج بعد ذلك إلى الشعر الشعبي الديني (الصوفي)لنفصل في أغراضه ونشأته ولغة والبناء و الموسيقى في القصيدة الشعبية الدينية.

أما الفصل الثالث فهو تطبيقي خصصناه لذكر مواضيع الخطاب الشعري لابن خلوف وما يميز هذا الخطاب من رموز صوفية ورافق بطبيعة الحال كل هذا نماذج من شعره.

ورصدنا في الخاتمة أهم النتائج والاستنتاجات المتوصل إليها من خلال البحث .

بخصوص دواعي انجاز هذا البحث وأهم الأسباب في اختيارنا له تمثلت: استكمال شهادة الماستر في الأدب الجزائري.

وولعنا بالشعر الشعبي عامة والشعر الصوفي على وجه الخصوص ومساهمة في تدوين ودراسة هذا الشكل من أشكال الأدب الشعبي.

وقد واجهتنا صعوبات أثناء انجاز البحث أهمها صعوبة تلقي الخطاب الشعري الشعبي،على اعتبار أن أسلوبه رمزي غامض،كذلك عدم حصولنا على مراجع كافية خاصة في الجانب التطبيقي.

رغم افتقادنا لبعض المراجع الهامة التي كانت ستفيدنا في عملية البحث إلا أننا اعتمدنا على بعض المراجع التي توفرت لدينا مثل ديوان سيدي لخضر بن خلوف لصاحبه محمد بخوشة وكذا ديوانه الذي أنتجته جمعية آفاق مستغانم ،أما فيما يخص الشعر الشعبي وخصائصه استعنا بكتاب عبد الله الركيبي المعنون بالشعر الديني الجزائري الحديث ،وكتب لم يتسنا لنا ذكرها.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا و لو بقليل في انجاز البحث ،ونحمد الله على ذلك.

1- نسبه وأصله

هو الأخضر بن عبد الله بن عيسى الشريف الإدريسي المغراوي نسبة، فهو شريف النسب، ينتهي إلى سلالة الإمام علي كرم الله وجهه، وعن هذا يقول **الحاج محمد بن الحاج الغوثي بخوشة "فهو شريف إدريسي، أما مغراوة فإنها بلاد نشأته، وقد صرح التاريخ بأن مغراوة بطن من** زناتة، وأن الرئاسة كانت لها قبل الإسلام، وفي صدره إلى عهد الموحدين، واشتهر منهم ملوك تلمسان ووهران وشلف ومعسكر والأغواط ويقول الإدريسي : وحسان النعمان بعروبتهم ولكن تبربروا بالمجاورة"[1] ويفصل **بخوشه** عن نسبه أكثر فيقول:" يرجع نسب سيدي الأخضر بن خلوف إلى مولى إدريس الأكبر رضي الله عنه فهو مغراوي الأصل، شريف النسب، يلتحق بجده عيسى الذي انتقل إلى منطقة الشقران ناحية مستغانم.

وإليك سلسلة حسب ما ذكرها الإمام السيوطي رضي الله عنه:هو عيسى بن الحسن بن يعقوب الشريف بن عبد الله بن عمران بن صفوان بن يسار بن موسى بن يحي بن عيسى بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن البسيط بن علي كرم الله وجهه،نعم إن سيدي الأخضر بن خلوف مغراوي الأصل شريف النسب "[2]

ومن هنا يتبين لنا نسب الشاعر الشريف الذي تعود جذوره إلى سلالة الإمام علي كرم الله وجهه

وكثيرا ما يعتز الشاعر بنسبه ويتجلى ذلك من خلال شعره فيقول:

[1]- بخوشة محمد الغوثي،ديوان سيدي الأخضر بنخلوف،شاعر الدين والوطن،مطبعة الشمال الإفريقي، ط 2، الرباط ،1958،ص37

[2]-المرجع نفسه،ص12

اَللَهْ يَرْحَمْ قَايَلْ الأَبْيَاتْ الأَكْحَلْ وْ اِسْمُ بُوهْ عَبْدْ اَللَهْ

اَلْمَشْهُورْ إِسْمَهُ مِنْ الفَيَاتْ مَغْرَاوِي جَدَهْ رَسُولْ اَللَه

وْ أُمَهْ مِنْ بَنْتْ مُحْسِنَاتْ الْيَعْقُوبَيَةْ لَالَــةْ خولَةْ[1]

2- تسميته

تختلف تسمية الشاعر "مرة بلكحل وأخرى بالأخضر فإن الذاكرة الشعبية لجأت إلى ما توارثته الأجيال أو ربما كان من نسيج خيال العامة، ومؤدي ذلك أنه مر على زواج أبيه" عبد الله" "بكلة" ردحا من الزمن، ولم يرزقا بمولود يؤنس و حشتهما فنابت المرأة إلى ربها و أسلمت له وأخلصت الدعاء فاستجاب لها ربها و لم يخيب ظنها" [2]

"وذات يوم ذهبت لزيارة رجل صالح تبركا به، كرجل صالح تقي عرف بورعه،فنذرت إن رزقها الله بمولود أن تسميه باسم هذا الرجل التقي"لكحل"ليكون مثله في صلاحه وورعه، وما هي إلا أيام مضت حتى بدت عليها علامات الحمل، فحمدت الله على ما وهبها،وحدث أن رأت في منامها أن حزاما أخضر مرصع بقطع ذهبية يطوقها، فأفتاها من حولها أنها سترزق بمولود يكون ذو شأن بين الناس فرغبت في تسميته الأخضر فكان مولودا باسمين، لكحل والأخضر، وكلامها يرمز إلى لونين

[1]- بخوشة محمد، ص 187.

[2]- حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف، دراسة في الموضوعات و الشكل، مخطوط رسالة الماجيستر في أعلام الشعر الشعبي الجزائري، جامعة أبي بكر- بلقايد تلمسان-،2011م، ص 228.

متناظرين، فالأخضر للتفاؤل، والأكحل للتشاؤم، كما ذكر أنه وحيد أمه وخوفا عليه سمته لكحل لتدفع شر العين و الحسد " .[1]

بالتالي تختلف تسمية الشاعر باختلاف الروايات المتوارثة، "أما الغالب عند الطبقة الشعبية فهي تسمية الأخضر وقد ارتبط هذا اللون بالأولياء الصالحين وطلاء أضرحتهم وغطاء قبورهم، وكذلك بعض المساجد، ولون أفرشتها و كان هذا اللون مرتبطا بالعبادة أو بالآخرة أو ربما تفاؤلا بخضرة الجنة

ونعيمها" [2] أما عن تسميته لكحل يقول **حميان عبد الرحمان** " وقد تكون تسمية لكحل راجعة إلى أن ابن خلوف كان أكحل العينين، أو يعلو مواضع الكحل في عينيه سواد فسمي بالأكحل" . [3]

وتبقى التسمية التي يحبذها الشاعر هي الأخضر يقول **عبد القادر دواجي**"ومن خلال تصفحنا لديوان الشاعر، وقراءة قصائده وجدنا أن الشاعر كان يحبذ اسم الأخضر حيث ورد في الديوان 16 مرات،مقابل 06 مرات لاسم الأكحل بغض النظر عن الأسماء الأخرى،مثل بن خلوف،ولد خلوف،الخلوفي".[4]

3- مولده

[1] جمعية آفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده، ج1، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2006، ص22.

[2] –حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص229.

[3] –المرجع نفسه ،ص229.

[4] – دواجي عبد القادر جلول، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، دراسة تحليلية، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب الشعبي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2003 ، ص42

فيما يخص ولادة الشاعر فإنه "لم يثبت في ترجمة لسيدي لخضر بن خلوف تاريخا محددا للولادة ربما لعدم اكتراث الناس بثبت تاريخ الميلاد وإن كان هناك تقييد ،فبالسمة المميزة لفترة ما، أو حادث مشهور،كما فعل العرب قديما فقالوا: عام الفيل أو عام الرمادة أو ربما بتقادم الزمن يذهب الثبت طي النسيان،ولعل ما وصلنا من شعر الرجل كفيل بأن يحيلنا إلى تاريخ الميلاد أو يجعلنا نقترب منه قليلا،حيث يقول قصيدة مشهورة له تنعت ب ابقاو بالسلامة "أو الوصية أو عند عامة الناس "بالوفاة" "[1]، يقول الشاعر:

مَنْ قَرْنْ الثْمَانْيَةْ أَدِيتْ سْنِينْ وْزَايَعْ وْالَأَيَامْ هَامْلَةْ وْ الْجَالَبْ مَجْلُوبْ

بْفَضْلْ النْبِيْ تَمِـيتْ الْقَرْنْ التَاسَعْ وْ الْفُلْكْ يَنْثْنَي وْ الْحَاسَبْ مَحْسُوبْ[2].

من هذه الأبيات يتجلى لنا أن الشاعر "مولده كان في أواخر القرن الثامن هجري، وعاش القرن التاسع كله، لتوافيه المنية في أوائل القرن العاشر" [3]وقد عاش الشاعر ما يزيد عنمائة وخمسة و عشرين سنة وخير دليل على ذلك قوله:

جَوَزْتْ مْيَاَ وْ خَمْسَةْ وْعَشْرَينْ حْسَابْ وْتَمِيتْ مَن وْرَاَ سنِي سَتْ شْهُورْ[4]

[1]- حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ،ص229.

[2]– جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده، ص21.

[3]– المرجع نفسه،ص21.

[4]– عبد القادر دواجي ، ،الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ،ا لملحق الشعري قصيدة "ابقاو بالسلامة" ، ص289.

ويضيف **حميان عبد الرحمان** "أنه إذا اعتبرنا لفظة (**تميت**)البيت السالف الذكر بمعنى لم يزد عليها،أي أتم ستة أشهر بعد مائة وخمسة و عشرين عاما وحضر أجله،و إذا اعتبرنا لفظة (**تميت**) في البيتالسابق:

بْفَضْلْ النْبِي تَمِـيتْ الْقَرْنْ التَاسِعْ وْالْفَلْكْ يَنْشَنَي وْ الْحَاسَبْ مَحْسُوبْ.

تحمل نفس المعنى ، تبين لنا أنه توفي في سنة900 هـ وعليه ويكون ميلاده في عام 775هـ،خاصة إذا علمنا أن البيتين من نفس القصيدة نضمها وهو على فراش الموت يوصي أولاده وهي قصيدة "أبقاو باسلامة"[1]

4- نشأته

لقد ترعرع سيدي الأخضر بن خلوف في جو مشحون بقيم مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والبيئة العربية كالخصال الحميدة من الجود والكرم وحسن الضيافة ويقول عنه **بخوشة** "نشأ سيدي الأخضر بن خلوف في ناحية من جبال مغراوة الجزائرية في وسط كريم مشهور بخصال العرب عندئذ كان أول عصر الحكم التركي".[2]

بالتالي نشأ الشاعر في أحضان العصر التركي الذي تميز باضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية التي خلقتها تهديدات من القوى الخارجية كاسبانيا وحليفاتها التي كان مرادها طمس هوية الشعب

[1]- حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص231.

[2]- بخوشة محمد، الديوان ،ص03.

ونهب خيرات البلاد،فشب الشاعر على الانتقام لدينه ووطنه، وكان مستعدا لدفع النفس والنفيس لتحرير والوطن فكان فارسا قوي الإرادة ثابت العزيمة، شديد الصلابة فقاد المعارك ووحد القبائل فجاهد في سبيل الله والوطن فكان النصر حليفة ومن أشهر المعارك التي خاضها معركة مزغران، التي يقول فيها الشاعر:

يَا فَارَسْ مَنْ ثَمْ جِيتْ الْيُومْ غزْوَةْمْزَغْرَانْ مَعْلُومْةْ

يَاعَجْلاَنْ رَيَضْ الْمَلْجُومْ رَايْتْ اَجْنَابْ الشَلْوْ مَوْشُومَةْ

يَا سَايَلْنِي عَنْ طَرَادْ الْرَومْ قَصَـةْمْزَغْرَانْ مَعْلُومَةْ[1]

وكان الشاعر بن خلوف ذو اطلاع معرفي كبير، فقد كان حافظا للقرآن الكريم وعارفا لكتب السيرة والحديث والفقه والأدب والتاريخ، وقصص الأنبياء والرسل والأولين، بصفة عامة كان سيد زمانه دينا وخلقا و معرفة.

عاش الشاعر شبابه في مزغران ،منطقة الأمن والأمان ،الهدوء والسلام فقد قضى فيها أجمل أيامه وكانت له ذكريات فيها، فحن إلى المنطقة وإلى ذكرياتها يقول في أبيات له :

حَسْرَاهْ يَا الدَنْيَا كَالْـلِي مَا كَانَتْ عَدِيتْ شْبُوبْ صَغْرِي فَي مْزَغْرَانْ

سِيفَي مْجَرْدَهْ وْ أَنَا نَضْرَبْ الْأَعْدَا وْ النَاسْ ضَاجَةْ مِنْ زَجْرِي بَالخُوفْ[1]

[1]– بخوشة محمد ، الديوان، ص 182.

لقد ساد الأمن منطقة مزغران إلى يوم أراد فيه الإسبان الإستطان في أرض غيرأرضهم، لكن وجدوا في استقبالهم مجاهدا لا يرضى بغير الجهاد بديلا، فكان السيف والكلمة سلاحه إلى أن حالفه النصر وطرد الغزاة من وطنه بقوة الإيمان واليقين بالله والإرادة والعزيمة والجهاد.، ولما بلغ الشاعر أربعين سنة،انتقل إلى حياة الزهد والتصوف فغادر منطقة مزغران ليستقر في منطقة غير بعيدة عن مزغران وهذه المنطقة تحمل اسمه الآن، فقد تفرغ لعبادة الله ومدح الرسول والبكاء على ذنوبه وانقطع عن لهو الدنيا وملذاتها ووسواس النفس والشيطان فقد اعتزل عن حياة الدنيا ابتغاء للآخرة .[2]

"ذاع صيت الشاعر،و اشتهر اسمه و عمت مناقبه من خلق حسن وعلم كثير وتصوف وزهد وتواضع كل هذه الصفات جعلت منه وليا صالحا يقتدي به في الحكمة والموعظة والصلح والرشاد وزاد من شهرته شعره الرائع الذي خلده،وحفظته الأجيال، ووصلتنا حية إلى زماننا رغم طول الأمد بيننا وبينه"[3] .

5-أسرته

إن حياة الزهد التي عاشها الشاعر وانصرافه عن ملذات الدنيا وإغراءاتها لم يمنعه من أن تكون له أسرة تتكون من زوجة وأولاد وخادم ، إذ تعتبر قصيدة "ابقاو بالسلامة " كسيرة ذاتية وردت فيها حياة الشاعر باختصار فكانت قصيدة وداع إذ نسجها وهو على فراش الموت،كما كانت وصية لأبنائه يوصيهم و يورثهم رزقه، فيقول فيها:

---

[1]- بخوشة محمد ، الديوان، ص191.

[2]- ينظر: دواجي عبد القادر جلول، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، ص 40.

[3]- المرجع نفسه،ص 41.

ألْمُوتْ تَابْعَتْنِي والْأَرْضْ ألبَارْدَةْ أَبْقَاوْ بْالسْلاَمَةْ يَا أُوْلاَدْ خَلُوفْ

أَنْتَ يَا مْحَمَدْاَتْهَلَى فِي خِيمْتِـي أنْتَ كْبِيرْ دَارِي وْ أَنْتَ مَولَاهَا

وْأَنْتَ يَا أَحْمَدْ خُذْ أَدِي سَبْحَتِـي بِهَا تْذَكَـرْنِي وَقْتْتَقْرَاهَا

وْ أَنْتَ يَا بْلْقَاسَمْ عَمَمْ بَعْـمَامَتِـي تَضَحِي لَكْ هِيبَةْ لْمَنْ يْرَاهَا

أَتْهَلاَوْ فِي بَعْضَكُمْ لاَ تْشَفُوا فيّ اَلعْدا قُومُوا جَنَازْتِي وْ اعْطُوا الْمَعْرُوفْ[1]

هذه هي ممتلكات المادية للشاعر في حياة الدنيا والمتمثلة في خيمة، وسبحة وعمامة وشملة وبرانيس فهي أشياء بسيطة نظرا لزهده، وقد أورثها لأبنائه كما أورثهم النصيحة ليستفيدوا منها في حياتهم وفي معاملاتهم،" ثم يذكرهم بأختهم الوحيدة المطلقة حفصة ويوصيهم بأن يبروا إليها ويحسنوا إكرامها والإنفاق عليها" [2] فيقول:

بَرُّوا يا اوْلَادِي بَخَيَّتْكُمْ هَجَّالَةْ حَفْصَةْ بَنْتَ ألْأَكْحَلْ مَدَّاحْ الْرَّسُولْ

ألْبِنْتْ يِاكْ تَنْهَانْ بْلَا رَجَالَةْ أَنْتُمَا ارْجَالْهَا يَا سَابْقِينْ الْخِيرْ

إِذَا اَبْكَاْتنِي مَعْذُورَةْ فِي حَالْهَا تَبْكِي عْلَى الْخَلُوفِي بْوهَا لاَ غِيـر[3]

[1]– بخوشة محمد، الديوان، ص 192.

[2]- المرجع نفسه، ص43.

[3]– دواجي عبد القادر ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، الملحق الشعري، قصيدة "ابقاو بالسلامة"289.

"وقد تزوج سيدي لخضر "بقنو" بنت سيدي عفيف الذي يوجد ضريحه غرب مدينة سيدي علي ،ويقال أن "قنو"هي ابنة عم أمه "كلة"على أن سيدي عفيف هذا أخ سيدي يعقوب الشريف" [1] ويذكرهما في شعره ويقول :

يَارَبّ الْعَرْشْ جُودْ عْلَيَا بْالدْعَا وَارْحَمْ" قْنُو"زَوْجَتِي وْأَمِي "كَلَةْ"

بْجَاْ حْرَمْ الَخْمِيسْ لَثْنِينْ وَ الْجَمْعَةْ وْبَحْرَمْ السَادَاتْ كُلْهُمْ جُوفْ وْقِبْلَهْ[2]

وأنجبت "قنو " للشاعر خمسة أولاد، أربعة ذكور وأنثى واحدة ،ولقد سمى بن خلوف أولاده على أسماء حبيب الله عليه أفضل صلاة وتسليم وهم :محمد، أحمد ،الحبيب ،بلقاسم وحفصة ، وفي أثر هذا يقول:

يَا مْحَمَدْ عْلِيكْ سَمِيتْ أَوْلاَدِي بَلْقَاسَمْ وْ الْحْبِيبْ هُمَا وْلاَعَةْ

احْمَدْ وْ مْحَمَدْ ذْخِيرْ لَيَّ وْ زَادِي بِهُمْ نْفُوزْ فِي نْهَارْ الشْفَاعَةْ

وْبَنْتِي حَفْصَةْ نِعْمَةْ مِنْ كْبَادِي رْبِيتْ الْوَلْفْ عْلِيهَا مِنْ الرْضَاعَةْ[3]

وكان الأخضر بن خلوف ولدا بارا مطيعا لوالديه معتزا بهما ،فأمه هي" كلة" اليعقوبية كما سلف الذكر،وأبوه هو عبد الله ولد خلوف،ويدعوا لهما قائلا:

[1]– جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده ، ص29.

[2]– المرجع نفسه ،ص29.

[3]–المرجع نفسه،ص29.

اللَهْ يَرْحَمْقَايَلْ الْأبْيَاتْ الأَكْحَلْ وْ اَسْمُ بُوهْ عَبْدْ اللَهْ

الْمَشْهُورْ اَسْمُه مَنْ الْفَيَّاتْ مَغْرَاوِي جَدْهْ رَسُولْ اللَهْ

وْ أُمَهْ مِنْ بَنْتْ مُحْسِنَاتْ ألْيَعْقُوبَيَةْ لَالَــةْ خَوْلَةْ[1]

كان في خدمة الشاعر خادما يدعى " **جرادة** " عاشمعه ما يقارب سبعين سنة ،وقيل أنه تاب على يد بن خلوف إذ كان لصا وقاتلا مجرما يقول عنه الشاعر:

يَارَبْ لَا تْخَيَبْ مَسْكِينْ جْرَادَهْ ذَنْبُو غْزِيرْ رَاجْلْ هَامَلْ مَقْذُوفْ

هَذَا الرَاجَلْ رَاهْ تْخَلَطْ مَنْ عَزْلْتِي شَاهَدْ عْلَى ذنْبُو قَاتَلْ ألْأرْوَاحْ

طَهْرْ جْوَارْحُه شْفِيهْ مِنْ كُلْ دَاءْ وْاغْفَرْ ذْنُوبُه يَـا رَبْ يَاَ رؤُوفْ[2]

ويقول أيضا:

أرَفْعُوا خْدِيمِيْ يعَزْ الدَّهْرْ أَصْلُهْ غْزَافْرِي مَنْ جْبَلْ صَرْصَارْ*

سَبْعِينْ سْنَا عْدَاهَا لِي شَاكَرْ جَارِي فِي خْدَمْتِي فِي كُلْ لِيلَةْ وْ نْهَارْ[3]

يتجلى لنا من كل هذا أن الشاعر كان حريص على تكوين أسرته تكوينا صالحا مبنيا على التآخي

[1]– بخوشة محمد ، الديوان ، ص187.

*– جبل صرصار قرب مدينة عين تيموشنت.

[2]– جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده، ص29 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 110.

والتضامن والتثبت بشعائر الدين والسنة المطهرة.

5-تكوينه و ثقافته

"عرفت المنطقة التي عاش فيها الشاعر تنافسا في مجال التدريس والفتوى على غرار مدن الغرب الجزائري، وراج الفقه المالكي خاصة في مدرسة " مازونة" فانتشرت الكتاتيب و الزوايا وأقيمت الحلق في المساجد ،وكما جرت العادة كان أول ما يبدأ به الصبية تعلمهم هو حفظ القرآن الكريم "[1]

ونشأ بن خلوف على هذه التقاليد وعلى هذا التكوين، فكان تعليمه الأول "في الكتاتيب على يد أكثر من **درار*** بدء بسيدي أمحمد لكحل ،ثم سيدي بولحيه المعروف عند أهل المنطقة بسيدي بوحية ، والذي يوجد له مقام في دوار أولاد غازي 600م جنوب قبة سيدي لخضر، أين دفنت أمه وزوجته" [2] يقول:

اَسْمَعْ نْحَدْثَكْ أَدِي مَنِي فَايْدَةْ قَنْدُوزْ عَنْدْ دْرَارْ يَقْرَا فِي صْحُوفْ

بِالتْرَجْمَانْ وْ الْقَاضِي مْشَاهْدَةْ نْوَرِّيكْ مَادَرْكْ لَكْحَلْ وَلْدْ خَلُوفْ [3]

[1] – حميان عبد الرحمان ، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص235.

*– درار: معناه معلم صبية

[2] – جمعية أفاق ، سيدي لخضربن خلوف،حياته و قصائده ،ص 26

3– المرجع نفسه،ص26.

إن ما وهبه الله في بن خلوف من فطنة وبديهة تسنى له أن يحفظ القرآن عن شيخه وصهره في نفس الوقت سيدي العفيف، كما أثرى رصيده العلمي بفضل المشايخ والعلماء والفقهاء،كسيدي بلقاسم بو عسرية ، وسيدي محمد بن شاعة [1] .

وكان لشاعر مكانة مرموقة في عصره إذ " كان في زمانه يسمونه شيخ الشيوخ، وفقيه الفقهاء وإمام الأئمة لسعة علمه وسرعة الحفظ، و قوة الإقناع بالحجة والبرهان و الدليل " [2] ومن هذه السعة المعرفية الواسعة والتحصيل العلمي "تفتقت شاعرية سيدي لخضر فجاء بشعر مرصع بالذهب يلمع في دنيا الناس"[3]، يقول في ذلك:

لَخْضَرْ يْقُولْ كَلْمَةْ بْمِيزَانْهَا مْرَصَّعْ بَالذْهَبْ شِعْرْهُ وْقَادِي[4]

ملامح من شخصيته

يظهر لنا من خلال أشعار بن خلوف بعض من ملامح شخصيته إذ يملك من الصفات ما يؤهله إلى أن يكون رجلا تقيا ووليا صالحا يقتدى به في عصره وبين أهله ومن السمات التي يعرف بها الشاعر

[1]– ينظر :حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ،ص236.

[2]– المرجع نفسه، ص236.

[3]– المرجع نفسه، ص236

[4]بخوشة محمد ، الديوان، ص106 .

طاعته الخالصة لله ونبيه محمد "فهو الموحد الواقف عند حدود الله، الذاكر العارف بسر التوحيد، المعرض عما يشوب توحيد الخالص من تعلق بالدنيا وزينتها" [1] وخير دليل على ذلك قوله:

لَا إِلَهْ إِلَا الْلَّهْ بِالَنفْيْ وَ الثْبَاتْ الثْبَاتْ إِلَى الَلهْ وْ النَفْيْ لِغَيْرِهْ

لَا إِلَهْ إِلَا اللّهْ تَوْحِيـدْهَا بْيَـاتْ فِـي ضْـمِيرْ المْرِيدْالْمُسْتَجِيرَهْ

لَا إِلَهْ إِلَا اللّـهْ مَـا دَامَتْ اَلحْيَاةْ نَذْكَـرْ اِسْـمُ القَـدِيرْالْمُقْتَدِيرَهْ

لَا إِلَهْ إِلَا اللَّهْ مِـنْ سَرْهَـا غْـرَامْ جَالْبَةْ أَهْلْ الْخَلْوَةْ سَالْبَةْ عْقُولْهَا

تَمْتِزِجُ فِي الْجَسَدْوَ الْرُوحْ والْعِظَامْ نَافْيَةَ شْغَلْ الْدَنْيَا وْجْمِيعْ مْوَالْهَا

عرف الشاعر بحبه الشديد والخالص لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المشاعر الصادقة خولته من رؤية النبي أكثر من مرة في منامه، كما اتخذ بن خلوف مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حرفة له فشيد يقول :

يَكْفِينِي صَدْقِي وْ نَيَةْ لَخْضَرْ كِيفْ يْكَونْ خَاطِيْ

تَسْعَةْ وْ تَسْعِينْ رْوَيَةْ وْ الْعَاطِيْ مَا زَالْ يَعْطِي [2]

ويقول أيضا:

[1] - حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص 236 .

[2] – جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده ، ص92.

ٱلنَّاسْ لْكُلْ وَاحَدْ حَرْفَةْ وْ أَنَا حَرْفْتِيْ الْعَدْنَانِي[1]

كان التواضع من خصال بن خلوف في حق نفسه وفي حق خالقه ، إذ يرى أنه أهون خلقالله، ورغم أنه كان للقرآن حافظا و للصلاة مقيما ولشعائر الدين حريصا، إلا أنه يرى نفسه مقصرا وجاني ويقول في ذلك:

فَضْل اللهْ كْتَابَهْ عَنْدِي يَكْفِينِي قُوتِي وْ غُدَا[2]

ويقول أيضا:

لاَ غِيرَكْ شَافَعْ يَشْفَعْ مَنْ هُوَ عَرَّةْ بْحَالِي[3]

و يقول كذلك:

اَغْفَرْ لِابْنْ خَلُوفْ الْجَانِي أَوَاهْ بَنْ خَلُوفْ ٱلْمَدَاحْ ٱلْيُومْ غَابْ[4]

ومن السمات البارزة أيضا للشاعر الشجاعة كما سلف الذكر، إذ كان مجاهدا في سبيل حمى وطنه وشعبه، ومعركة مزغران شاهدة على بسالة وفروسية بن خلوف ونظم مشيدا بشجاعته

سِيفِي مجَّرَدْ وْ أَنَا نَضْرَّبْ فِي اَلعْدَا وْ الْنَاسْ دَالْجَةْ مِنْ زَجْرِي بِالْخُوفْ

[1]- بخوشة محمد ،الديوان ، ص 142.

[2]– المرجع نفسه،ص 42.

[3]– جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده ص44.

[4]– المرجع السابق ، ص 146.

خَلْفِي وْ عْلَى يْمِينِي الَجْمَاجَمْ رَاقْدَةْ وْ الْخَلْقْ طَايْحَةْ تَنَحْسَبْ بْالَأُلُوفْ[1]

يعرف عن الشاعر خصاله الحميدة من الجود والكرم وحسن الضيافة التي استمدها من الثقافة العربية الإسلامية وهذين البيتين يبينان ما بلغه الشاعر من الكرم

الْضِّيفْ إِذَا طْلَبْ تْكُونْ لَهُ مْكَافَةْ سَايَلْ عَنْدْ الْبَابْ وَاقَفْ طَالَبْ

مْكَانَيَةْ الَأَجْوَادْ مَاهِيشْ عَيَافَةْ تَمْثِيلْ بْزِيلْ صَاقْ بِهَا الْحَادِي[2]

" هذه الملامح كلها مجتمعة شكلت شخصية ابن خلوف الرجل الصوفي وأما الشاعرية فتلك ترجمان وجدان يتنزى دررا و يواقيتا " [3]

جهـــاده

عاش الشاعر بن خلوف أحداث تاريخية بارزة، فلم يمنعه زهده وتصوفه من الانصراف عن أحوال المسلمين وشؤون وطنه "إذ هو نموذج في الوطنية لكونه رفع لواء الجهاد ضد الغزاة الإسبان "[4].

لقد سجل الشاعر في شعره معركتين كان فيها بطلا مغوارا وباسلا شجاعا، تتمثل المعركة الأولى في "معركة شرشال، وهي المسيرة ما بين الجزائر العاصمة ومستغانم ومزغران، مرورا بالبليدة ، الشلف المرجى ومقام سيدي عابد وسيدي بو عبد الله قرب واد رهيو" [1] يقول بن خلوف عن هذه المعركة:

[1]- جمعية أفاق، سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده، ص 111.

[2]– المرجع نفسه،ص 224.

[3]– حميان عبد الرحمان ، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص239.

[4]– دواجي عبد القادر جلول، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، ص 46.

شَابْ رَاسِي مَنْ قَوَّةْلِيعَةْ ٱلحَمَالْ مْسَطْرِينْ الْفُرْسَانْ مَاشْيَةْ وْجَايَةْ

وْٱلخَلُوفِيَ ينْدَهْ وْيْسَايَسْ فَي ٱلأَبْطَالْ وْ اَلعْرَبْ بَسْنَاجَقْ وَ ٱلقُومْ غَازْيَةْ

فِي جْبَلْ شَرْشَالْ حَطِينَا لِلُقْتَالْ يْحَقْ فِي ذَلَكْ الْيُومْ اَمْرَا بَاكْيَة[2]

وقد كان الشاعر "باشا خيال" في حكم خير الدين بربروس فقال عن ذلك :

بَاشَا خَيَّالْ كُنْتْ نْهَاتِي مَنْ الْعَرَبْ فِي حِكْمَةْ خِيْر الْدِّينْ الْعَادَلْ الْأَصِيلْ

رَاكَبْ عْلَى فَرْسِي نْسُوقْ لَشْهَبْ هْنَـا وْغَادِي بْقَرْبْصُونِي يْمِيلْ

إِذَا نْعَبَرْ سِيفِي مَنْ شَافْنِي رْهَبْ تْهَـاتِي بْيَـا فِي كُـلْ جْبَل[3]

ويضيف الشاعر، ويصف المعركة وأحوالها ويقول:

مَا صْرَاَ ذِلكْ ٱلْيُومْ عْلَى الَمْجَاهْدَةْ كُـلْ فَارِسْ مَلْتْهَي فِي دَمُوا يْعُومْ

مَيَّاوْ خَمْسِينْ كَافَرْ وْ النَّاسْ شَاهْدَةْ قْتْلَتْهَا مِنْ شَنْضَاضْ وَثْرَايَةْ ٱلرُوم[4]

أما المعركة الثانية فهي "وقعة مزغران" التي كانت بين المسلمين والإسبان سنة 965هـ/1558 م

[1]- جمعية أفاق،سيدي لخضر بن خلوف،حياته و قصائده ،ص 31.

[2]– دواجي عبد القادر جلول، الملحق الشعري قصيدة "ليلة الهجوم"، الملحق الشعري، ص276.

[3]– المرجع نفسه ،ص 276.

[4]–أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 2 ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1981 ص 326.

وكان الجيش الإسلامي بقيادة **حسن باشا** والإسبان بقيادة **الكونت داالكوديت**، فكانت معركة بين المسلمين والكفار وكان النصر من نصيب المسلم وخلدت هذه المعركة في التاريخ، إذ كانت أفجع هزيمة عرفها الجيش الإسباني في تاريخه للإحتلال، وهذا النصر اليوم مثال حي للشهادة والشهامة والشجاعة في سبيل تحقيق المجد والعز و الحرية والوطن [1] ويذكرها في شعره يقول:

يَا سَايَلْنِي عَنْ طْرَادْ الرُّومْ قَصَّـةْ مْزَغْرَانْ مَعْلُومَةْ

يَا سَايْلنِي كِيفْ ذَا ٱلْقَصّةْ بَيْنْ النَّصْرَانِي وْ خِيرْ الْدِّين[2]

ويقول في قتل قائد الإسبان:

اَقْتَلْنَا مِنْ كَانْ قَايَدْهُـمْ وْ اَصْحَابَهْ بِالْكَثْرَةْ بَاقُوا ثَمَا[3]

"وهكذا تحمل روح ابن خلوف صفة الرجل الصوفي الورع المحب للنبي صلى الله عليه وسلم وصفة المجاهد الذي تحركه الحمية للدفاع عن الوطن وحمايته، وصفة الشاعر المتأجج الشاعرية وهي صفات قليل ما تجتمع في شخص واحد، إلا أن يكون ولي صالحا من الأولياء الصالحين "[4]

الولي الصالح

[1]– ينظر::دواجي عبد القادر جلول، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف،ص47.

[2]– بخوشة محمد ، الديوان ،ص182 .

[3]– المرجع نفسه،ص 186.

[4]– حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعرسيدي لخضر بن خلوف ، ص242.

يقول الله في كتابه العزيز: {**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون**}[1]

إن الكرامة * هي ما يميز الشخص الصالح و التقي وهي ما يثبت ولايته ،إذ هي أمر رباني"وتأييد إلاهي في شكل خارق للواقع برعاية من المولى عزوجل وما اجتمع في رجل مثل سيدي لخضر بن خلوف من صلاح الحال،وصدق المقال ونبل الفعال فليس ما ذكر عنه من كرامات ببعيد المنال"[2]

ومن الكرامات التي تتناولها الألسنة الشعبية " قصة الأمانة" التي رأى فيها سيدي لخضر في منامه الرسول صلى الله عليه و سلم و رؤيا النبي حق، لقوله صلى الله عليه و سلم" من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي"[3] متفق عليه

يقول الشاعر:

فِي ٱلسَنْدْ تْصَحْ كُلْ رْوَيَةْ دَنَّا مَنِي وْ قَالْ مُولْ ٱلفَرْقَانِي

مَا يَتْمَثَلْ خْبِيثْ بَيَّا مِنْ شَاهَدْنِي فِي أُمْتِي فْلَقَدْ رَانِي[4]

أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدي لخضر في زيارة سيدي **بومدين شعيب**** ليسلمه الأمانة

---

[1]– سورة يونس ،الآية **62**.

*–الكرامة: **يقول الجرجاني:الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوة النبوة.**

[2]– حميان عبد الرحمان ، المديح النبوي في شعرسيدي لخضر بن خلوف ، ص**243**.

**– هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأنصاري ، الغوث أصله من إشبيلية بالأندلس رحل إلى بلاد المغرب و هو من كبار رجال الصوفية

[3]– النووي ،يحي بن الشرف ، ريا ض الصالحين، دار ابن حزم ،ط**1**، بيروت ،**2002** ، ص**169** .

[4]– جمعية أفاق ،سيدي لخضر بن خلوف،حياته و قصائده ، ص **80**.

وهي كتاب يحتوي على أسرار المتصوفة وممارستهم ورغم أن سيدي بومدين كان قد توفي بثلاث قرون خلت، إلا أن الشاعر سافر إليه وأقام عنده وتبادلا الحديث واستلم منه ذلك الكتاب ثم قفل راجعا مرورا بالأولياء الصالحين الذين صادفهم في طريقه إلى أن بلغ دياره أين وجد زوجته في انتظاره، وقد ذكر ذلك في شعره[1]

ويزداد الشاعر تصوفا وزهدا عن الدنيا كلما اطلع على هذا الكتاب الأمر الذي أزعج زوجته فقررت التخلص منه، فبادرت إلى تمزيقه ورميه بعيدا، لكن المفاجأة كانت يوم طلب منها زوجها إحضار الكتاب فوجدته في مكانه لم يمسسه سوء" فأيقنت أنها لن تكون ألا أمام كرامة خص بها زوجها الصالح، الصادق فقصت عليه القصة وما كان أمرها"[2]

أما الكرامة الثانية هي "قصة الجمجمة"، إذ هي من عادة بن خلوف الصيد في البراري، وذات يوم لم يحالفه الحظ في الصيد وفي طريق العودة وجد جمجمة إنسان أخذها معه ليدفنها حفظا لكرامة الإنسان، وسهوا منه لم يخبر زوجته بذلك ، فوسوست لها مشعوذة أن هذه الجمجمة تعود لزوجته الأولى ، فثارت الزوجة غيرة ، وبادرت بحرقها لكن سيدي لخضر منعها وتحاكما إلى قاضي ليثبت براءته، وكان له ذلك حيث نطقت الجمجمة

وأفصحت عن اسمها ونسبها وسبب وفاتها، وقد نسج قصيدة رائعة بعنوان " راس المحنة" [3]، يقول:

[1]– ينظر: حميان عبد الرحمان، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف، ص244.

[2]– المرجع نفسه، ص 244.

[3]– ينظر: حميان عبد الرحمان ، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص244.

جِيتْ نْسَالَكْ وْأَنْتَيَا تْرَدْ جْوَابِي حَشَّمْتَكْ بِاللَّهْ كَلَّمْنِي

هَذَا وَطْنَكْ وَ لَا جِيتْ بَرَانِي يَا رَاسْ الْمَحْنَةْ لِلّهْ كَلَمْنِي

يَا ذَا الرَّاسْ البَاقِي فِي بْلَادْ الْقَفْرَةْ نَدْعِيكْ لَلْجْوَادْ الْخَالَقْ ٱلقَيُومْ[1]

يتبين لنا من خلال عرضنا لهذه الكرامات المكانة المرموقة التي تبوأها سيدي لخضر بن خلوف فقد كان ذو شأن عالي ورفيع في الأوساط الشعبية وهذا راجع لصلاحه وتقواه.

وفاته ووصياه

مهما عاش الإنسان من عمر فإن الفناء مآله فهذه سنة الحياة لقوله تعالى: {**كل نفس ذائقة الموت** }"[2]، هكذا كانت حياة الشاعر سيدي لخضر بن خلوف فبعد ما عمّر طويلا ما يزيد عن مائة وخمسة وعشرين سنة وستة أشهر، حان يوم أجله ، ولقد أحس الشاعر باقتراب وفاته فنظم يقول:

الْمُوتْ يَا أَوْلَادِي لْلخَلُوفِي قَاصْدَةْ سْفُودْ نَارْ اَنْطْفَا فَي وْسَطْ ٱلصُوف[3]

" فجمع أبناءه يوصيهم وصية مودع " [4]، فكانت وصياه " تتعلق بأمور الحياة ، وتجارب الدنيا

[1]– عبد القادر الدواجي ،الملحق الشعري ، القصيدة "راس المحنة" ،304 .

[2]– العنكبوت ،الآية 57.

[3]– بخوشة محمد، الديوان ، ص 193.

[4]– حميان عبد الرحمان ، المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف ، ص245.

وأمور أخرى كقضاء الدين، والميراث – إن ترك رزقا– "[1] وكانت من وصايا الشاعر الإحسان إلى الزوار وإكرامهم يوم وفاته فيقول :

اَتْهَلاَوْ يَا وْلاَدِي فِيمَنْ جَازَايَرْ اَكْرَمُوهْ وَ عَزُّوهْ يَا سْبَطْ الأَحْرَار[2]

ويورث الشاعر أولاده كل ممتلكاته التي جمعها في أزيد من قرن والمتمثلة في خيمة، وسبحة وعمامة وشملة وبرانيس صوف كما سبق الذكر، يقول في هذا

أَنْتَ يَا مْحَمَدْ اَتْهَلَى فِي خِيْمِتِـــي اَنْتَ كْبِيرْ دَارِي وْ أَنْتَ مَولاَهَا

وَأَنْتَ يَا أَحْمَدْ خُذْ أَدِي سَبَحْتِـــي بِهَا تْذكْرْنِي وَقْتْتَقْرَاهَا

وْ أَنْتَ يَا بَلْقَاسَمْ عَمَمْ بَعْـمَامْتِـــي تْضَّحِي لَكْ هِيبَةْ لِمَنْ يْرَاهَا

أَتْهَلاَوْ فِي بَعْضَكُمْ لاَ تْشَّفُوا فِيَّ الَعْدَا قُومُوا جَنَازْتِي وَ اْعْطُوا الْمَعْرُوفْ[3]

ويضيف و يقول :

هَذِي وْصَيْتِي لاَ نَاقَصْ وَ لاَزَايْدَةْ لاَتْفَرَكْتُوا نْضَامِي لَلِي مَتْلُوفْ

هَذِي وْصَيْتِي دِيرُوهَا شَدّْ الرْؤُوسْ يَوْصِيكُمْ الْخَلُوفِي بْعِلْمْ الْتَبَيُنْ[1]

[1]– دواجي عبد القادر، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، ص 48.

[2]– بخوشة محمد، الديوان القصيدة كاملة ، ص 190.

[3]– المرجع السابق، الملحق الشعري " قصيدة ابقاو بالسلامة " ، صص290–291.

في هذين البيتين يوصي الشاعر أبناءه بالتكاتف والتآزر والتضامن والتآخي فليس لهم غير بعضهم.

وكما أراد الشاعر أن يدفن تحت جذع نخلة مميزة، فأوصى أولاده قائلا:

اَلنَّخْلَةْ مَنْزَلْهَا حْذَايَا نْظَلَلْ فِي ظَلْهَا اَلْبْعِيدَا[2]

ويضيف :

نَخْلَةْ مْثَبْتَةْ تَلْقَحْ بَعْدْ اَلْيْبُوسْ أَحُدَاهَا يْكُونْ قَبْرِي يَا مْسَلْمِينْ[3]

توفي الشاعر، فكما لم يحدد تاريخ مولده لم يحدد تاريخ وفاته، لكن على حسب ما ذكره في شعره توفي في أوائل القرن العاشر هجري، غاب لخضر بن خلوف عن حياة الدنيا ،تاركا لنا وراءه شعرا و تراثا وتاريخا مخلدا ، يعد إرثا ثقافيا تتوارثه الأجيال ، وأصبح ضريحه اليوم" معلم سياحي ورمز للبطولة والجهاد والتصوف وقرض الشعر"[4].

فرحم الله الشاعر سيدي لخضر بن خلوف وأسكنه فسيح جنانه.

---

[1]– بخوشة محمد، ص192.

[2]– المرجع نفسه، ص 193.

[3]– جمعية أفاق ،سيدي لخضر بن خلوف، حياته و قصائده، ص 106.

[4]– دواجي عبد القادر، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، ص 50.

1- مفهوم التصوف

ظهرت بذور التصوف في سماء الفكر الإسلامي في بداية القرن الثاني للهجري على هيئة نزعات شديدة من الزهد في متاع وزخرف الدنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الإسلامي وقتئذ من حوادث شديدة أثرت تأثيرا كبيرا في جميع جوانب الحياة، وإن كان بعض الباحثين يرجع ظهور التصوف إلى عاملين أولهما الذنوب التي يقترفها العاصي المسلم ومحاولته في محوها بطلب المغفرة من ربه، والعامل الثاني يتمثل في الرعب الشديد الذي ينتاب العصاة من اليوم الآخرة وما أعد فيه من عذاب شديد لهم مما يجعلهم يطلبون التوبة من خالقهم و الزهد في الحياة.

أ – لغة:

التصوف كلمة غامضة ليس ثمة اتفاق على معناها، ولعل غموض هذا المصطلح –رغم شيوعيه بين الناس – يرجع إلى عدم تحديد اللفظ ذاته، ذلك أن كلمة (التصوف) متعددة المعاني، هذا بالإضافة إلى أن أصل التسمية أي اشتقاقها اللغوي لم يحسم بعد، ثم إن هذا المصطلح شأنه شأن اللغة، يتطور بتطور العصر الذي يوجد فيه، و يتأثر بظروف هذا العصر أو ذلك بحيث نجد لكلمة التصوف معنى في هذا العصر قد يختلف عن معناها في عصر آخر، فضلا أن معناها يختلف من صوفي إلى آخر.

فنجد كلمة التصوف في معجم "العربية الكلاسيكية و المعاصرة" هو من :

تصوُّف: تصوُّفاً لبس الصوف، صار صوفيا أي تشبه بالمتصوفة في سلوكهم.

تصوُف:مصدر تصوّف.[1]

أي مذهب ديني روحي يقوم على الزهد والورع و محاسبة النفس والانصراف عن كل ماله صلة وعلاقة بالجسد ويعتمد على الرياضة النفسية للوصول إلى الاتحاد بالله والفناء فيه تعالى.

و مُتَصَوفْ: صُوفِي تَابعَ طريقة التصوف.[2]

كما نجد هذا ما ذهبت إليه المعاجم الأدبية: إن الصوفية مذهب روحي يعتقد أنصاره بإمكانية اتحاد النفس البشرية، إتحادا بالخالق فيتأتى عن هذا الاتحاد معرفة الله حدسيا وذوقيا وبتالي الاطلاع على أسرار الكون ويسمون هذه الحالة شطحا .

الصوفية الدنية : نزعة دينية ظهرت في القرن الثالث الهجري وتأثرت بالروحانية القرآنية والمذاهب الفلسفية التي كانت شائعة آنذاك نشأت عنها فرق اتبعت مناهج خاصة من الزهد والصوم والصلاة و إقامة حلقات الفكر، لتحقيق غايتها في الانجذاب والشطح والوصول إلى الحقيقة المطلقة.[3]

وهذا ما نجده عند **عبد القادر عيسى**" أما الصوفية هي فئة من المتزهدين السائرين على طريقة قوامها. التقشف و التخلي عن الرذائل و التحلي بالفضائل لتزكو النفس وتتمكن من الاتصال بالله".[4]

---

[1]– يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصرة ، مكتبة لبنان الناشرون، ط1، ص320.

[2]– المرجع نفسه ، ص999.

[3]– جبور عبد النور،المعجم الأدبي، دار العلم ، بيروت،1984 ، صص15 16.

[4]– عبد القادر عيسى، حقائق التصوف، الموقع الالكتروني: htt://SHZLG.COM

وذهب البعض إلى أنها مشتقة من الكلمة اليونانية **صوفيا** أو **صوفوس** و تعني: الحكمة ومن مؤيدي لرأي "**فون هامر**"و"**هنري كوربان**" هذا الأخير ينسب هذا الرأي"**للبيروني** "ويعلل الاختلاف في حرف السين و الصاد بمرونة النحويين العرب في اشتقاقاتهم للكلمات الأجنبية.[1]

كثرة الأقوال في اشتقاق الكلمة، فمن تعاريف وأراء الباحثين نجد :

الرأي الأول :

إن هناك صلة بين الصوفي ولباسهم الصوف، الذي كان يميزهم عن بقية المسلمين، ولبس الصوف ارتبطت دلالته بالتواضع لله والانكسار له وإيثار الزهد في نعيم الدنيا رغبة في تحقيق مقام القربة من الحق تعالى وهذه هي سمات الأنبياء والصالحين.

فالخلاء الواسع الفسيح الذي يغمره الهدوء يشجع على التفكير العميق في أمور الدنيا وما فيها من متع و زخرف وما فيها من شقاء و بلاء، وفي النهاية زوالها، توصل الأنبياء قبل بعثهم إلى أممهم بأن هذا الكوكب ومن فيه سائر إلى حياة أفضل ونعيم مقيم أعده الخالق لعباده المؤمنين، قد أدى كل هذا التفكير إلى التأمل والعبادة وللزهد في الدنيا.

الرأي الثاني :

[1]– ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر،2002، ص22.

تداولت هذه الكلمة في القرن الثالث الهجري، ويقال أول من استعمل لفظ صوفي هو الجاحظ البصري عندما كان يتكلم عن النساك في عصره وأن (هاشم الكوفي) أول من لبس الصوف وأطلق عليه متصوفا، لأنه زهد في الدنيا وما فيها من متع و زخرف.

ويقول فيه صاحب نفحات الأنس"انه كان أول من تسمى بالصوفي"[1].

الرأي الثالث:

رأي يقول أن كلمة صوفي نسبة إلى "صوفة" وهو رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان قد انقطع إلى الله و عبادته وطاعته عند بيت الحرام، واسمه "الغوث ابن مر"، وكان إليه أمر انجازه في الحج، وقيل لأحفاده من بعده صوفة أيضا، فنسب الصوفية إليهم لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله وعبادته، قال ابن لجوزي: سئل وليد بن القاسم إلى أي شيء ينتسب الصوفي؟ فقال: "كان قوم الجاهلية يقال أهل صوفة، انقطعوا إلى الله و قطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهو صوفي".

أشار إلى هذا كذلك الزمخشري في أساس البلاغة و الفيروزي أبادي صاحب قاموس المحيط[2] .

الرأي الرابع:

[1]– عبد الحكيم عبد الغاني قاسم،المذاهب الصوفية و مدارسها،مكتبة مديولي7ميدان طلعت حرب، ط2، القاهرة،1999، ص21 .

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب للطباعة، صص24 ،25.

كما نجد أراء فقهاء الصوفية أن هنالك صلة قوية بين لفظ صوفي و بين أهل الصفاء[1]، (هم فقراء المسلمين من صدر الأول الإسلامي)، " أهلُ الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة."[2]

حيث يقول بعض الباحثين أن كلمة التصوف مشتقة من الصفاء الذي يعمر قلوب الزهاد[3]،حتى قال **أبو الفتح البستي** رحمه الله تعالى :

تَنَازَعَ النَاسُ في الصُـوْفِي وَاخْتَلَفُوا فَظَنَّـهُ البَعْضْ مُشْـتَقاً مـن الْصُـوْفْ

وَلَسْت أَمْنَحُ هَذَا الاسْمْ غَيْرَ فَتىً صَفَا فَصُوفِي حَتَى سُمِي الصُوْفِي[4]

هنا الأمر لا يستقيم من جهة الاشتقاق اللغوي، ولكنه يستقم من جانب المعنى فالصفاء من تصفية النفس من كدورات البشرية، وأهل الصفة عامة كانوا قائمين على تحقيق هذه الخصلة في نفوسهم، وما تجدر الإشارة إليه أن مثل هذه الكلمات مؤهلة لأن تكون أصلا اشتقاقيا للتصوف أكثر من غيرها تشترك في حرفين على الأقل هما، الصاد والفاء.

و أما المدلولات فمتشابهة ولما كان التصوف يشمل على معنى الصفاء، فيستقيم الاشتقاق لغويا من مادة صوف، وفي ضوء ما تقدم فإن التصوف من الصوف هو الرأي الراجح.

[1]- عبدالحكيم عبد الغاني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، ص22.

[2]– عبد القادر عيسى، حقائق التصوف، ص10.الموقع الالكتروني: htt://SHZLG.COM

[3]– المرجع السابق، ص22.

[4]– المرجع نفسه، ص10.

الرأي الخامس:

وقيل مشتقة من **الصف الأول** رمز للإقبال المبكر على الصلاة والجهاد كما ذهب إليه **الكالابادي** في كتابه مذاهب أهل التصوف[1].

إذن التصوف الإسلامي هو الإسلام بمعناه العميق، وإن شئت هو تذوق الإسلام، فكلمة تذوق ترادف عند الأئمة كلمة التصوف، والصوفي في بدئه ونهايته ما هو إلا مسلم يتذوق أركان الشريعة الإسلامية كما جاء بها النبي (ص)...ذلك هو المسلم وهناك من يتعد الشكل الظاهري فيأتي بالفرض وهو متذوق لحلاوة الطاعة والإيمان ... وهذا هو المسلم الحقيقي أو الصوفي، فالتصوف:هو العبادة...بذوق[2].

فالتصوف إذن يرمي إلى تذوق العقيدة والتحسس القلبي لها، لا البحث فيها بحسب مناهج العقل ولا التدليل المنطقي على صحتها إنه يستشفها نورا روحيا لا يملك أسبابه العقل.

كما قال القشيري :"إن هذه الطائفة أشهر من أن يحتاج تعيينهم إلى قياس لفظ واستحقاق واشتقاق"[3].

وهذا ما ذهب إليه الهجويري في قوله : "واشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من أي معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه"[4].

---

[1]- ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية،22 .

[2]– ينظر، يوسف زيدان،عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988 ، صص100–101.

[3]– عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية في التصوف، تر معروف رزيق وعلي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1995 ، ص239.

[4]– ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، ص22 .

مهما اختلفت هذه الاشتقاقات فهي في جلها تؤصل التصوف، وتصف أحوال المتصوفة كما أنهم يرضون بها ولا يجدون فيها ذما ولا إنقاصا من شأنهم.

ب- اصطلاحا:

مصطلح التصوف يعرف عدّة تعاريف، فقد اختلف فيه أهل العلم كما اختلفوا في أصل اشتقاقه، وقد وجدنا عدّة مفاهيم وتأويلات، منها :

قول **معروف الكرخي** (200هـ): "التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"، مشيرا في جزئه الأول إلى طبيعة الجانب المعرفي في التصوف وهو معرفة حقائق الأشياء وجوهرها، وعدم الاكتفاء بما تعطيه ظواهرها، أما الجزء الآخر من التعريف فيشير إلى مقام الزهد، وهو التخلي عما في أيدي الناس من أملاك والرغبة في الدنيا وقال **سمنون** عن التصوف"أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء".

هذا ما ذهب إليه تعريف **عمرو بن عثمان المكي** " التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى في الوقت"[1] فهنا تصبح العبودية لله ولا أن تكون عبدا لا للمال أو الولد أو سلطان، فهذا يشغل القلب عن ذكر الله.

[1]- ينظر:أمين يوسف عودة ، تأويل الشعرو فلسفه عند الصوفية، عالم الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن،2008، ص12، ص13، ص14.

أما **الجنيد** وقد عرفه بما يلي فقال: "التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة" وقدم تعريف أخر فقال: "التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول (ص)في الشريعة"[1].

وهذا ما ذهب إليه **أبو سليمان الداراني** قال : "التصوف أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق وأن يكون مع الحق على حال لا يعلمها إلا الله"[1].

يعني أن الصوفي قد ماتت فيه الصفات الإنسانية وغاب عنه نفسه، لكن يَكُون و يحيًا بالله تعالى.

وقول**أبو بكر الشيلي** "التصوف الجلوس مع الله بلا همٌ" وقال أيضا "الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق"[2] .

وقول **رويم أيضا** " التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يرد" فهو نظر إلى التصوف من مقام الرضا، الذي يحمد الله على السراء والضراء، إذ لا مجال للإعتراض والسخط على إرادته جلا وعلا، وهذا ما نجده أيضا عند سهل الصعلوكي "التصوف الإعراض عن الاعتراض"[3].

كما أن الصوفي يسعى إلى مقام الفقر و التوكل وهو ما أكده رويم في تعريف آخر لتصوف يقول : "التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار وترك التصرف

[1]- فيصل بد يرعون ، التصوف الإسلامي الطريق و الرجال،مكتبة سعيد رأفت، مصر،1983، ص21.

[2]– المرجع نفسه ، ص22.

[3]– ينظر:أمين يوسف عودة ، تأويل الشعر فلسفه عند الصوفية، ص14.

والاختيار"[1]، فالصوفي يسعى ويجاهد إلى إرضاء الله عز وجلّ، يتوكل عليه ويترك التصرف له والاختيار.

وقيل أيضا "الصوفي كالأرض، يُطرح عليها قبيح، ولا يخرج منها إلا كل مليح".

كما قال **الكناني**:"التصوف خُلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك من الصفاء".

وقال **المزين**": التصوف:الانقياد للحق."[2]

وهذه التعاريف الثلاثة تذهب بنا إلى مقام التخلق بالأخلاق العليا والسامية التي تصل بالصوفي إلى العفة والصدق، العطاء ورد السيئة بالحسنة، ويسمى علم التصوف علم الحكم وعلم الباطن، وهو علم معرفة الله معرفة توحيدية خالصة.

وقيل إن كلمة (الصوفي) ليست سوى مجموعة أحرف رمزية تعني (الحكيم الإلهي) ويجعل "**الشيخ حسن رضوان** "في منظومته الكبرى التي جمعها في كتابه (روض القلوب المستطاب)كلمة (صوفي) تشير بحروفها إلى معاني كثيرة :

فالصاد إلى الصبر والصلاة والصوم والصدق.

الواو إلى الود والوعد و الوصل.

والفاء إلى الفرقان والفتح[3].

[1]– ينظر:أمين يوسف عودة ، تأويل الشعر فلسفه عند الصوفية ، ص15.

[2]– الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية في التصوف، ص241.

[3]– محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص32.

فالتصوف إذن هو الطريق أو المنهج أو اتجاه يسير فيه المرء الذي يسمي نفسه سالكا وهذا السالك ينتقل من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال، خلال عبور هذا الطريق الصوفي الذي هو أشبه برحلة طويلة في هذه الرحلة يسعى السالك إلى لا البحث عن ربّه بل إلى رؤية ومشاهدته و الفناء فيه، ذلك أنه أدرك في مرحلة سابقة أن للمخلوقات خالقا وأن للعالم صانعا عظيما حكيما وهو الآن يطمع من رحلته هذه أن يصل إلى رب العالمين[1].

إذا أردنا اختصار كل التعاريف نتفق مع ما قاله كثير من المتصوفة، إن التصوف أخلاق مقتدية بالشرع في ظاهرها، هدفها صفاء باطن المتصف بها ليدرك الحقائق لهذا سمي المتصوفة بأهل الباطن وأرباب الحق

واعتبر تصوفهم علم الحقائق أو علم الباطن وهي تعاريف على الرغم من اختلاف مصادرها إلا أنها تتمحور حول تحديد علاقة المتصوفة بذاته وعلاقته بمجتمعه كما تبرز تلك العلاقة السامية التي يسعى كل صوفي إليها، وهي أساس وجوده، وهي علاقته بالخالق[2].

2- نشأة التصوّف:

جاء الإسلام حاملا معه قيم فكرية وروحية ودينية وأخلاقية خلصت البشر من عبث الجاهلية وفسادها فوجد الإنسان نفسه في رحاب هذا الدين يسعى إلى الفضيلة بدل الرذيلة وأخذ يتطلع إلى تحقيق الفلاح في دينه ودنياه وآخرته، ويسموا إلى الإخلاص في عبادة الله وحده لا شريك له، فانصرف عن حياة الدنيا وإغراءاتها وشهواتها، العبادة خالقه وذلك فوزا في الحياة الدنيا والآخرة وذلك لقوله

[1]- فيصل بديرعون ، التصوف الإسلامي الطريق و الرجال ، ص100.

[2]- ينظر: ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، ص25.

عزوجل{وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا}[1]، ولا شك أن البوادر الأولى لتصوف تجلت مع الأنبياء والمرسلين والصحابة و الأولياء الصالحين " والحقيقة أن تاريخ التصوّف في الإسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه، ومظهر من مظاهره، وما أحاط به من ظروف وما دخل فيه من شعوب، وليس شيئا أجتلب من الخارج دون أن يكون له صلة بالدين الإسلامي وروحه وتعاليمه " [2] .

ولقد كانت الحركة الزهدية هي البذرة الأولى التي انبثق منها التصوّف وكان ذلك خلال القرن الأول والثاني للهجرة، والزهد " إذا كان في حدود الإتباع فهو ممدوح في الإسلام ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أول الزاهدين في متاع الدنيا وكذلك أبو بكر و عمر رضي الله عنهما وأكثر الصحابة "[3]

ويضيف محمد ربيع هادي ويقول "لم يكن زهدهم إهمال الكسب والعكوف في الأربطة لانتظار ما يجود به عليهم الناس بل كانت الدنيا تأتيهم فينفقونها في وجوه الخير ولم يكونوا يتركون الطيبات إلا حينما تتعذر عليهم فإذا وجدت تمتعوا بها "[4]، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أما و الله إني أخشاكم لله أتوقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**"[5]

---

[1]– القصص الآية 77.

[2]– د.منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر و المغرب، منشأة المعارف الإسكندرية ، ص120.

[3]– محمد بن ربيع هادي المدخلي ،حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب و السنة،مدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،ص96.

[4]– المرجع نفسه ،ص96

[5]– الإمام أبو زكرياء يحي بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، خرج أحاديثه شعب الأرناؤوط ، ط1، بيروت، ص 43.

الذي بالتالي الطابع يوسم الحركة الزهدية في عهد الرسول فهي الاعتدال، كيف ولا يكون ذلك فهو أشرف خلق الله وأعلم بما يصحّ أو لا يصحّ ، ولكن مع بداية القرن الثاني هجري بدء مفهوم الزهد ينحرف عن مساره "حيث أصبح المظهر التعبدي في المرتبة الثانية وتعلق مفهوم الزهد بالعمل القلبي في أول خطوة للانحراف به عن أصله والولوج إلى عالم جديد ينضوي تحت لوائه كل صاحب فكر حر يتقمص دور التدين بالشكل الذي يرتضيه ما دام أن غاية ذلك الوصول إلى حب الله" [1]، وما ساعد على انتشار الزهد فقد أرجعها ابن خلدون إلى ما ساد القرن الثاني هجري من مظاهر الترف والفساد مما يسر لبروز اتجاه قوي و مضاد على العكوف على العبادة و الانقطاع لله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، حتى عرف أصحاب هذا الإتجاه بالصوفية أو المتصوفة[2].

أ–مرحله:

وهكذا مهدت الحركة الزهدية لميلاد التصوّف، وتطور عبر مراحل يمكن حصر هذه المراحل فيما يلي:

–المرحلة الأولى: وهي في القرنين الأول والثاني هجري وتتميز هذه المرحلة بالانصراف عن ملذات الدنيا " والزهد البسيط المستند إلى صفاء الإيمان و نقائه "[3].

[1]– أحمد عبيدلي ، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس و السابع هجريين ،دراسة دراسة موضوعاتية فنية، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في الأدب المغربي القديم ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ،2005، ص22.

[2]– ابن خلدون ، مقدمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط7 ،1989 ، ص467.

[3]– علي بن شريف عبد الإله ،مرجعيات مفردات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان –دراسة معجمية دلالية –،مذكرة لنيل شهادة ماجيستر ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2004 ، ص 14.

– **المرحلة الثانية:** تمتد هذه المرحلة من القرن الثالث هجري إلى أواسط القرن الرابع هجري وهي مرحلة الإغراق في الزهد والتقشف.

– **المرحلة الثالثة:** وهي في القرن الخامس، بداية النبضات الأولى للتصوّف وذلك بظهور الأفكار الأولية للصوفية والخيالات.

–**المرحلة الرابعة:** وهي في القرنين السادس والسابع هجري، وهي مرحلة نضج التصوف واكتمال ملامحه وتشكل الطرق الصوفية والولوج في الكرامات.

– **المرحلة الخامسة:** القرن السابع هجري وما بعده، دور "اصطباغ المذاهب بالصبغة الفلسفية واندثار المعالم الأولى "[1].

وبذكر هذه المراحل مع المدة الزمنية التي تحدد كل مرحلة، لا يعني هذا أن كل مرحلة بدايتها قرن ونهايتها قرن آخر، إنما هي حصيلة مجملية لخصائص طاغية في تلك الفترة مقارنة بخصائص أخرى.

ومن أهم الزهاد والنساك التي شهدها القرنين الأولين للهجرة نجد الحسن البصيري (المتوفي عام 110 هـ) كان رائد التصوف وينزع في سلوكه إلى حياة روحية خالصة ويتخذ من الطقس الديني طريقة معرفة وكشف، وفي القيروان إسماعيل بن عبيد (المتوفي عام 107هـ) يوغل في التبتل...ونجد أبا محمد

[1]- علي بن شريف عبد الإله، مرجعيات مفرادات الطرق الصوفية ، في منطقة تلمسان ، دراسة معجمية و دلالية، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستر في علم اللهجات، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان– ،2004 ، ص14.

خالد عمر التيجي (المتوفي 127هـ) يهرب من الثورة والقضاء ...هؤلاء الزهاد والنساك انتشروا في إفريقيا منذ الفتح [1] .

هكذا كان شأن التصوف في المشرق العربي، وكان الأمر مماثلا بالنسبة للمغرب العربي إذ مرّ التصوف فيه بأربعة عصور، فالعصر الأول هو الذي كان في عهد الشيخ شعيب أبي مدين ، أما الثاني منه كان في أواخر القرنين الخامس والسادس الهجريين أين حضي أبي مدين شعيب بتتويج له من قبل المغاربة بعدما نشر علمه، و علم عبد السلام بن مشيش .

ويحدد العصر الثالث من القرن السابع إلى القرن التاسع هجري وهو زمن الشاذلي إلى زمن الجزولي، أما العصر الرابع والأخير فيحدد من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر هجري .[2]

3- نزعة السلطة داخل الفكر الصوفي:

أسس الصوفيون مجتمعا ذاتيا يخصهم وذلك لانغماسهم في الفلسفة والروحانيات والتواصل بالغيبيات وهذا النظام الذي أسسوه يخضع لقوانينهم وأعرافهم وتقاليدهم فقد كانت علاقتهم بالمجتمع علاقة منقطعة كونها تبعث في النفس الملذات والمنافع والمغريات، وهذا النظام يشبه كثيرا الأنظمة السياسية الحديثة وذلك من خلال السلطة التي تنظم وتحكم هذا النظام، يصف أبو الحسن الهجويري في كتابه "كشف المحجوب"هذا التنظيم بالعدد فيقول: أما أهل الحل والعقد وقادة حضرة الحق جل جلاله

[1] – ينظر:القني زينب، التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم ، عنوان الدراية للغبريني عينة ، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستر أدب جزائري جامعة قاصدي مرباح – ورقلة ، 2008 ، ص18 .

[2] – د.منال عبد المنعم ، التصوف في مصر و المغرب ، ص 126.

فثلاث مائة يدعون **الأخيار** وأربعون آخرون يسمون **الأبدال**، وسبعة آخرون يقال لهم **الأبرار**،وأربعة يسمون الأوتاد وثلاثة آخرون يقال لهم **النقباء**، وواحد يسمونه **القطب** أو**الغوث** وهؤولاء يعرف أحدهم الآخر ويحتاجون في الأمور لأذن بعضهم البعض"[1]، فتكون وسيلة التواصل بينهم عن طريق الروح وهذا على مستوى الغيبيات لكن على حسب النظام والحكم فإن المعاملة تكون مادية وتكمن العلاقة في المجتمع الصوفيين بين المريد والشيخ ،والمريد في سعي دائما للوصول إلى الله فينعزل عن علاقته بالدنيا وأهلها " لينقطع إلى علاقات أخرى مع أطراف أخرى وهذه الأطراف هي الشيخ(المرشد)والأصحاب (رفاق الطريق)والله(غاية الحركة)[2] .

وهذه العلاقة تكون تواصلية دون انقطاع، فهذه الجماعة هي ذات هدف وسلوك واحد يقودهم شيخ واحد وهذا ما يخلق من الجماعة كيانا منسجما متحدا يحكمهم نظام داخلي واحد وتمارس السلطة داخل المنظومة الصوفية عن طريق حاكم ومحكوم، وذلك بين الشيخ ومريده فالشيخ للمريد لا يعد معلما وحسب إنما كسيّد وقائد وعلى المريد إظهار الطاعة والولاء دون مخالفة في أمر أو معاملة " وأن بدء كل فرقة تكون من مخالفة المريد لشيخه فتنقطع العلاقة بينهما وإن جمعتهما البقعة فمن صحب شيخا ثم اعترض عليه نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة" [3] .بالتالي فالمريد يتفرغ لشيخه روحا وعقلا " لذا عليه حفظ سره حتى عن ذرة إلا شيخه ولو وقع عليه مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنياته ومخالفته"[4] فالمريد يقطع

[1] – – ينظر : د محمد طوالبية ، التشكلات الإيديولوجية داخل الحركة الصوفية ، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية ،2011، ص59.

[2] - المرجع نفسه،59.

[3] – المرجع نفسه، ص60.

[4] - ينظر : د المرجع نفسه ، ص60.

عهدا بأن لا ينصرف عن طريقته مهما بلغه من سوء وحرمان وآلام فلن يأكل أو ينام أو يسافر حتى يأمر شيخه بذلك ، فنقول أن الشيخ يمارس سلطته المطلقة على المريد وما على المريد إلا الطاعة والرضوخ لأوامر شيخه.

4- ملامح التصوّف في الجزائر:

لم يختلف الوضع كثيرا في الجزائر التي كانت تلقب بالمغرب الأوسط آنذاك، وعليه فإن الحركة الزهدية ظهرت في الجزائر بداية القرن الثاني إلى القرن الخامس هجري يقول الطاهر بونابي" شهد المغرب الأوسط أيضا بداية من القرن الثاني إلى القرن الخامس للهجرة/ الثامن إلى الحادي عشرا الميلادي حركة زهدية برزت ملامحها الأولى في سياق الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب "[1]التالي فإن الحركة الزهدية - كما يؤكد الطاهر بونابي- أنها "ظاهرة نتاج إرهاصات دينية اجتماعية واقتصادية تعود بجذورها إلى القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي- تخمرت عبر قرون وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوّفية التي بدأت معالمها تنضج في القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي- بالنسبة للتصوّف السني* وبداية القرن

[1]- الطاهر بونابي ،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين ،شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة 2004،ص 47.

*- التصوف السني :يقول عنه الطاهر بونابي : تميز هذا التيار بالتزامه بالقرآن و السنة ، وأخلاق السلف الصالح والابتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية كالحلول والوحدة و الإشراق .

السابع الهجري- الثالث عشر ميلادي بالنسبة لتيارات التصوف الفلسفي* "[1].ويمكن حصر أسباب وعوامل انتشار التصوف في الجزائر في ما يلي :

أ- أسباب فكرية:

كوجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكه و بعلمهم وبمؤلفاتهم أمثال الشيخ أبي مدين ، المليانى، والثعالبي...ويضاف إلى ذلك تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

ب- أسباب سياسية:

كسقوط الدولة الموحدية التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الإسباني، ولأسباب داخلي وخارجية تدهورت أوضاعها، وكسقوط الأندلس نتيجة التدهور السياسي الذي أصابها عقب سقوط الدولة الأموية ونتج عن سقوط الأندلس أمران : الغزو الإسباني لمعظم سواحل المغرب الإسلامي، الأمر الثاني : هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية .

---

[1] - الطاهر بونابي ،التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين ،شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة 2004، ص 47.

*- التصوف الفلسفي: يجمع بين السنة حيث يعمل صوفيته على الإلتزام بتعاليم القرآن الكريم و السنة النبوية ،فيما يسعون من جانب آخر إلى كشف الحقائق الإلهية.

ج- أسباب اجتماعية:

منها انتشار البذخ والترف عند طبقات معينة، نتيجة الثراء الفاحش، وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة و العامة الكثير من مبادئ الدين و سلوكه القويم وقد حارب الصوفية هذا الانحراف وقاوموا بكل السبل والطرق هذه الإختلالات، مما أدى إلى انتشار مذهبهم [1] .

وعليه فإن التصوف في الجزائر مر بمرحلتين أساسيتين تتمثلان في :

أ- فترة التصوف النخبوي:

ذلك خلال القرون السادس والسابع والثامن هجرية، وهي الفترة التي بقي فيها التصوف يدرس في المدارس الخاصة واقتصاره على طبقة معينة من المتعلمين وعدم انتشاره بين الطبقات الشعبية، وبقائه في الحواضر الكبرى، كتلمسان، بجاية، وهران...

ب- فترة التصوف الشعبي:

أو ما يعرف بفترة الانتقال الفكري إلى التصوف الشعبي، وقد وقع ذلك في القرن التاسع هجري وفيها انتقل التصوف من الجانب النظري إلى الجانب العملي وهو الانتشار الكبير للزوايا والرباطات في الريف والمدن وانضواء الآلاف من الناس تحت لوائه والتركيز على الذكر والخلوة وآداب الصحبة وما إليها من مظاهر التصوف الشعبي وفيها انتقل التصوف من الجانب النظري إلى الجانب العملي وهو الانتشار

[1] - عبد المنعم القاسمي ،.عن التصوف و الصوفية في الجزائر،الموقع الالكتروني :http://albordj.blogspot.com

الكبير للزوايا والرباطات في الريف والمدن وانضواء الآلاف من الناس تحت لوائه والتركيز على الذكر والخلوة وآداب الصحبة وما إليها من مظاهر التصوف الشعبي.[1]

وهكذا ساد التصوّف المغرب الأوسط – الجزائر– وأصبح شغل العامة من مختلف الطبقات، ومن الدلائل التي تثبت وجود التصوّف في الجزائر العدد الهائل للزوايا المنتشرة في مختلف بقاع الوطن، وهذا ما سنتحدث عنه تحت عنوان :

5 – نشأة الزوايا في الجزائر:

تعود الزوايا في أصلها إلى شيوخ الطرق الصوفية وذلك لتعميم العلم بين طبقات المجتمع وخاصة الفقيرة وفي بداية الأمر كانت الزوايا بالمساجد وبعد ذلك تحولت إلى أبنية على أطرف المدن تقام فيه الصلوات لكنها كانت بدون محراب ، وأول زاوية شهدت تطورا في المغرب كانت في بداية القرن 13ميلادي فقد هدفت إلى نشر الحركة العلمية و الدفاع عن الدين الإسلامي من الاستعمار الخارجي وبطشه.

أما في الجزائر كانت الزوايا ظاهرة ملفتة إذ عمت وانتشرت وشملت المدن والأرياف وخاصة في الجهة الغربية و الوسط " فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من ثلاثين زاوية في آخر العهد العثماني... وفي عهد صالح باي كان فيقسنطينة ثلاث عشرة زاوية، وهو عدد لا يشتمل بالطبع الزوايا المحيطة بها، وقد كان في عنابة وبجاية وزواوة أعدادا مشابهة ... أما بالنسبة لمدينة الجزائر فإن المصادر تذكر أنه كان في

[1]- عبد المنعم القاسمي ،.عن التصوف و الصوفية في الجزائر،الموقع الالكتروني :http://albordj.blogspot.com

سنة1246 ماثنان وثلاثون قبة أو ضريحا"[1]، فقد كانت الزوايا مراكزا للطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدين والأتباع للمشاورة في أمور الدين والمجتمع وعملت على نشر تعاليم الدين الإسلامي وقامت بأداء رسالتها التعليمية الحضارية والتربوية " فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري ومع مرور الزمن تطور أمر الزوايا وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوروبية إلى السواحل الجزائرية " [2]،ولقد أدت الزوايا في الأرياف دورا أكثر فعالية منها في المدن فقد خاض أتباعها جهاد من أجل حماية الدين و البلاد من الغزوات.

أنواع الزوايا:

لقد قسم الباحثون الزوايا حسب أدوارها ووظائفها التي تؤديها فنجد:

أولا– ا لزوايا من حيث الانتساب: وتتفرع بدورها إلى ما يلي :

أ– زوايا المرابطين: ونعني بها تلك الزوايا الغير تابعة لطريقة صوفية معينة إنما يعمل فيها المرابطون دون مقابل وهي تعد ملجأ للمعوزين والمحرومين ومراكز للعلم وطلبته .

ب–زوايا الطرق الصوفية :تابعة لطريقة ما أو فرع لها تحت إمارة شيخ ويخدمها مريدوها .

ج–زوايا المنسوبة: وهي الزوايا التي تحتوي على أضرحة يزورها العامة نظرا لتقديسهم المدفون في هذه الزاوية.

[1]– أبو قاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري المؤسسة الوطنية،ج1،ط2،1985،ص 266.

[2]– طيب جاب الله ،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري " ،معارف،(مجلة علمية محكمة)، ع14، كلية العلوما لاجتماعية والإنسانية ،أكتوبر ،ص 138.

ثانيا –الزوايا من حيث الموقع:

أ– زوايا الأرياف:"وتكون مبنية حول قبر المرابط غير المعروف كثيرا ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط "[1] ، وعادة ما يقوم على هذه الزاوية حفيد المرابط، الذي من مهامه التعليم والتربية.

ب–زوايا المدن:الزوايا في المدن عبارة عن بناء كبير تستقبل فيها كل محتاج لها من طلاب وعلماء وفقراء ومشردين وقد تتحول إلى مدرسة عليا وتحمل اسم مؤسسها أو الحي التي فيها أو المرابط التابع لها

ثالثا– زوايا من حيث الدور:

أ– زوايا العلم :" هي من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الإعتناء بالقرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية و التاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الإسلامية"[2] .

ب–زوايا السحر : وهي من الزوايا التي يحدث فيها بعض الأعمال النافية للدين وممارسة للخرفات كالرقص ويتبعه لعب بالنار وضرب في دفوف وبدع وممارسته لشعوذة والسحر.

أنواع الزوايا في الجزائر:

وقد جاء هذا التقسيم على حسب الأنظمة الموجودة في الجزائر فنجد ثلاثة أنواع :

[1]– طيب جاب الله ،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري " ،،ص 138.

[2]– يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1999،صص134–135.

أ- زوايا المشايخ:

وهي تابعة لشيخ من المشايخ وهي نفسها زوايا الطرق الصوفية، فشيخها يتزعم طريقة ما وهو المسؤول عنها وعن شؤونها فهو الآمر الناهي فيها فلا يتدخل في شؤونه وفي زاويته أحد وفي حالة وفاة " شيخها فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة"[1].

ب- زوايا المرابطين:

وهي زوايا تابعة للمرابطين والتي تكون عادة تحت إمارة أحفاد المرابط المؤسس للزاوية وليس لها علاقة بالطرق الصوفية ولا تمتلك مريدون فهي ملكية عامة.

ج- زوايا الطلبة :

"وهذا النموذج الوحيد من الزوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو وأسست عام 1635إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فلا يتدخل أحد فيها

والطلبة وحدهم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا علميا واقتصاديا والزاوية بهذا الشكل تكون بعيدة عن أي من الضغوطات أو التدخلات، فهي تسير من طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفنه وإنما هو القانون أي قانون الزواية"[2] .

[1]- طيب جاب الله،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري " ،ص139.

[2]- المرجع نفسه، ص141.

أنواع الزوايا حسب التسمية:

أ- زوايا يطلق عليها اسم طريقة صوفية ما .

ب- زوايا تنسب إلى شخص ميت أو ضريحه وهو مقدس في المنطقة وقد يكون شيخ طريقة.

ج- زوايا يطلق عليها اسم منطقة وجودها وهي تدعى بالزوايا المطلقة.[1]

استطاعت الزوايا الحفاظ على الدين الإسلامي وعلمت قرآنه الكريم للطلبة وحفظته من التحريف كما ساهمت في الجهاد سواء كان بمساهمة أعضاءها في الجهاد أو مد العون للمجاهدين، فبالمختصر المفيد الزاوية حافظت على هوية الأمة الجزائرية.

ومن الطرق الصوفية المعروفة في الجزائر نجد"الرحمانية، القادرية، الشاذلية العيساوية، الدرقانية، السنوسية والتيجانية "، والتي كانت من أهدافها " نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية ومواجهة حركة التبشير المسيحية وأبلت البلاء الحسن في الدفاع عن أراض بالمغرب العربي من الهجمات الأجنبية ومقاومة الاستعمار الفرنسي والإيطالي والإسباني مقاومة باسلة "[2]

هكذا تطرقنا إلى التطورات التي مرّت على التصوف " ففي البداية كان التصوف سلوكا ثم تحول إلى فكر وسلوك و بدا موازيا للإسلام التقليدي، ينادي بمبادئه أحيانا وينافيها أحيانا أخرى، لقد أطلق بعض المتصوفة على أنفسهم أهل الحقيقة وأول ما يجب على طريق المتصوف أو المريد أن يتمتع بالإيمان بالله

[1]- طيب جاب الله،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري " ،ص141

[2]- قيداري قويدر ، الحضرة في منطقة أولاد النهار ، دراسة تاريخية و فنية ، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان،1999م، ص 59.

ثم بالطاعة المطلقة له ، ثم الإخلاص فيما يقوم به، فيبدأ بمجاهدة النفس والرياضة الروحية التي تمكنه من السيطرة على نفسه وكبح جماحها وإضعاف الحس لديه لأنه كلما ضعف الحس ازدادت أحوال الروح قوة و اتقادا"[1]، ثم تحول هذا السلوك وهذه العبادة إلى علم وذلك من حيث الجانب الفكري " كتب فيه أصحاب الطريق كما كتب الفقهاء في الفقه و علوم الدين ، بدأ ذلك بأن كتب بعضهم في الورع

ومحاسبة النفس، كما فعل القشيري في كتابه (الرسالة) و(السهروردي) في كتاب (عوارف المعارف) وفعل أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) وجمع الغزالي بين الورع ومحاسبة النفس، وبين آداب القوم وسننهم واصطلاحاتهم في كتاب (إحياء علوم الدين) فصار التصوف علما مدونا بعد أن كان سلوكا وطريقة في العبادة "[2].

6- الشعر الصوفي :

أ-ماهيته:

يحتل الشعر الصوفي مكانة مرموقَة في تاريخ الأدب العربي، وإن كان هذا اللون الشعري المميز لم يلقى ما يستحق من العناية ،فأهل اللغة لا معرفة لهم بطبيعة التجربة الصوفية والفكر الصوفي، حيث يهتم بهذه الموضوعات غيرهم من الباحثين ودارسوا التصوف على الجانب الآخر فقلما نجد منهم من يهتم بهذا

[1]- عمر محمد جمعة، " عرض و قراءة في كتاب مدخل إلى دراسة التصوف"، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- العدد82-81، ص01.

[2]- المرجع نفسه ، صص 1-2.

الجانب الشعري، إنما يستغرق اهتمامهم طبيعة التجربة الصوفية في تفردها وخصوصيتها ويكتفون بتتبع الفكر الصوفي في مراحله المختلفة دون الالتفات في أحيان كثيرة إلى أهمية الشكل الذي عبربه الصوفية عن أحوالهم و ترجموا به تجربتهم الفريدة.

كان إيجاد الشكل التعبيري المناسب إشكالية كبيرة في تاريخ التصوف الإسلامي،لأن اللغة التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية لم تكون تناسب التعبير عن تلك الأحوال التي تعانيها الصوفية .

والصوفي يسعى من خلال خلوته ومجاهدته الروحية إلى التحرر من العالم الحسي إلى عالم النور،حيث يرى الأشياء بقلبه وهذه الرؤية جديد للأشياء .وهكذا ينطلق كل من الشعر والتصوف من نقطة واحدة وهي التي تسمى عند الصوفية بالكشف، وعند الشعراء بالإلهام[1]،

إن التجربة الصوفية ليست مجرد تأمل نظري خالص، وإنما هي أساسا تجربة حية وطريق في السلوك وخصوصية هذه التجربة أنها افترضت لغة نوعية تميزها عن باقي الأساليب التعبيرية.

وقدم الدكتور محمد عبد المنعم الشعر الصوفي في كتابه." الأدب في التراث الصوفي" حيث قال:" الشعر الصوفي هو تطور للشعر الديني الإسلامي، وتطور للغزل العذري المتصوف الهائم في مسارح الجمال الروحي، وكان قسم منه تطورا لشعر الخمريات في الأدب العربي وقسم آخر وهو الخاص بوصف الذات الإلهية وآخر كان تطورا لفن الوصف في الشعر العربي."[2] كما نجد أيضا ما قاله سليمان مراد:" الشعر

[1]- ينظر: يوسف زيدان، عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية، ص8.

[2]- محمد عبد المنعم خفاجي، ص167.

الصوفي هو الامتداد الطبيعي والمستمر لتلك الفرحة الأولى، وهو الاستكشاف الدائم للعالم كله وهو استكشاف الوجود، عن طريق الكلمة الموحية ومن ثم كان الشعر الصوفي هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة "[1]

ب- نشأة الشعر الصوفي:

إن الشعر الديني عند العرب بدأ مع المدائح النبوية، وفي القرآن الكريم نجد كثيرا منالآيات في مديح الله جل جلاله والاعتراف بفضله على المخلوقات وقوته، لذلك سار الشعراء في تقديس الله لما رأوه في سر خلقه في الطبيعة والكون، ومن أوائل الشعراء المسلمين الذين نظموا في مدح الإله "حسان بن ثابت" .

استخدم حسان الألفاظ التي يرددها المؤمن في الصلاة والعبادة، لذلك راح يدعو الله ويشهد بفضله وكان حسان خير قدوة لشعراء المسلمين الذين نظموا في المديح الديني، لقد امتدح الشعراء الأنبياء كلهم قبل الإسلام، لكن ذلك ورد في مقطوعات أو ثنايا الأشعار ولم يتطور مثلما تطور الشعر في مدح الرسول الكريم خاتم الأنبياء، وفي الثناء على رسالته، وقد أدمج الشعراء تمجيد الرسالة الإسلامية بمدح الرسول[2]، وكان الشعراء المخضرمون الذين آمنوا قد مدحوا الرسول وأشادوا برسالته، فمنهم **النابغة الجعدي** الذي نظم قصيدة طويلة في مدح المصطفى، وأما **الأعشى** الذي كان مترددا، فقد مدح هو أيضا الرسول (ص) **بقصيدته الدالية** يريد بها وجه النبي، الذي يقول فيها :

نبَـي يَرَى مَا لاَ تـرَوْن أَغَارُ لِعُمْرِي في البِلاَدْو انْجُـدَ

لَهُ صَدَقَاتْ مَا تَغِبُ وَنَائِل وَلَيْسَ غِطَاءُ الْيَومِ مَانِعُهُ غَـدَ

[1]– قايد سليمان مراد، "الشعر الصوفي الشعبي البنية و الرؤيا"،مجلة الأدب واللغات، ع6، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر،2007 ، ص142

[2]- سامي الد هان، المديح، دار المعاريف، ط2، القاهرة،196 8، ص73.

بدا من خلال هذه الأبيات أن الأعشى كان بعيدا عن فهم الدين الإسلامي ومبادئه فاستخدم في مدحه الأدوات نفسها التي ألفها العرب في الجاهلية، إذ لم يفرق بين الزعيم الديني ورئيس القبيلة[1].

ولعل أشهر قصيدة نظمت في مدح الرسول، في ذلك الوقت، هي ''بانت سعاد'' لكعب بن زهير وقلدها الشعراء على مر العصور، وقد بدأها بالنسيب الخالص ثم وصف ناقته وبعدها انتقل إلى مدح الرسول، وهذا دليل على أن الرسول لم يقف لا في وجه شعر الغزل ولا في وجه الشعراء، وإنما كان يريد من الشاعر أن يتحول من شاعر قبيلة إلى شاعر أمة. و بعد ذلك ظهر شعر الزهد عند المسلمين، وكان أول من زهد في الحياة منهم الصحابة، وقد فعلوا ذلك عملا بحديث الرسول (ص) الذي يقول: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ما في الدنيا سيحبك الناس"[2].

فإذا كان الزهد قد استمد معانيه من سيرة الرسول (ص) والقرآن الكريم في عهد الصحابة والخلفاء الراشدين، فإن ظروفا حتمته على بعض الشعراء بعد تطور المجتمع الإسلامي واتساع رقعة الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع، مما أدى إلى انعزال بعض الناس ولجوئهم إلى الزهد، فقد اشتهر أهل العراق بالزهد نظرا للفتن والحروب والحرمان الذي أصابهم في بلادهم ورغم استهتار بعض الشعراء وعبثهم إلا أنهم كانوا يجسدون في شعرهم صورا تعبر عن إيمانهم بالله والندم على ما ارتكبوه من معاص، ومن الشعراء من لجأ إلى الزهد بعد فشله في الحب أو عند تقدمه في السن، ومنهم أيضا من نظم قصائد في الزهد تكفيرا لما صدر منهم من مجون في أيام الشباب، ويسمى هذا الشاعر بالمكفر.

وكان أبو العتاهية في العصر العباسي أول من طرق باب الوعظ والتزهيد في الدنيا لمعارضته معاصريه

[1]– سامي الدهان، المديح، ص73.

[2]– ينظر:المرجع نفسه ، ص74.

ممن انغمسوا في ملذات الحياة والمجون والزندقة، وهذا النوع من الشعر الوعظي أدى إلى ظهور شعر ينتقد الأوضاع الاجتماعية ويدعو إلى الإصلاح، هذه الأوضاع المتردية ساعد على ظهورها فساد الحكم في ذلك الوقت.

امتدت نزعة الزهد إلى شعراء الأندلس، الذين لم يتركوا غرضا من الأغراض الشعرية التي ظهرت في المشرق إلا وطرقوه وتفننوا في موضوعاته، ولكنهم فاقوا المشارقة في غرض الزهد من حيث غزارته وتوليد معانيه ورسم صوره[1].

نزعة الزهد لدى المسلمين هي في أصلها قيمة من قيم الإسلام الخالصة وقد أدى تطور الزهد إلى ظهور التصوف، وهو أسمى من الزهد ويتصل بحب الله، لكن الشعراء كثيرا ما يبالغون في هذا الموضوع حتى ليظن الناس أنهم يلحدون. والزهد والتصوف من الأمور المتلازمة في غالب الأحوال، بعث على وجودهما في المشرق الترف البالغ والتحلل والانسكاب على الملذات، وتطور بتطور المجتمع الإسلامي بعد احتكاك المسلمين بغيرهم من شعوب الأمم الأخرى، ويظهر أن الفرق ما بين الزهد والتصوف هو الفرق ما بين الاعتدال والمبالغة،فالزهد دعوة إلى ترك الكماليات، والأخذ بما هو ضروري لا غير، أما التصوف فإنه مبالغة في الصوم الدائم والجوع والحرمان، لكن صاحبه لا يحس بهذا الحرمان بل يتلذذ به[2]

فالشعر الصوفي نوع من الشعر يكون إلهيا محضا، تستخدم فيه المادة الشعرية للرمز عن الحقائق، وهو شعر مؤول، لا يقصد ظاهره وإنما له محامل يحمل عليه وتليق به[3]

[1]- ينظر:عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص220.

[2]- إبراهيم علي أبو الحسن، تاريخ الأدب في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة،1970 ، ص164.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص226.

غير أن هذا الشعر واجه عبر العصور انتقادات حادة من قبل النقاد من فقهاء ومتكلمين نظرا لغموضه واعتماده على الرمز أحيانا، وغلوه أحيانا أخرى، لكن ليس معنى ذلك أن هؤلاء النقاد لم يتصرفوا في نقدهم بعصبية أو نزعة مذهبية، فحين امتزج الحب العذري بالروح الإسلامي أفضى إلى التصوف العربي الخالص الخالي من الأفكار الأجنبية العقلية والدينية، ثم "امتزج الهوى العذري بالإيمان الإسلامي وبالفلسفة الأخلاقية المثالية الإغريقية، وتألف من هذه العناصر الثلاثة جواب، روحي وفكري جديد، وخاصة حين انتشر التفلسف وشاعت أفكار الفلاسفة اليونانيين[1]

كان عمر بن الفارض، أشهر علماء الصوفية في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وهو زعيم الصوفيين في المشرق، يتحدث عن نساء بني عذرة، ليلى وعزة وبثينة، تماما مثلما يفعل الشعراء العذريين، لكنه كان يرمز بهذه الأسماء إلى الذات الإلهية.

ج–عصور الشعر الصوفي:

الشعر الصوفي هو كباقي الفنون الأدبية التراثية في الأدب العربي قد عرف تطورا و مراحل عديدة وإذا جعلنا التراث الشعري الصوفي قد ظهر في أوائل القرن الثاني للهجري على يدي الحسن البصر وتلاميذه من بعده، فمراحله على النحو التالي:

–المرحلة الأولى : من عام 100هـ حتى عام 200 هـ

فيها كان الشعر الصوفي يكوّن نفسه بنفسه وينهض بتقاليده الفنية والفكرية ليؤصلها في أذهان الناس

[1]– المكتب العالمي للبحث: الحب عند العرب، دار مكتبة الحياة ، بيروت،1980 ، ص173.

ومن شعراء هذه المرحلة رابعة العدوية .

–المرحلة الثانية : هي تشمل قرنين من الزمن الثالث والرابع هجري.

قد كان الشعر الصوفي في هذه المرحلة في دور النهضة وازدهار ومن شعرائه أبو "تراب عسكري بنحسين الخشي".

3- **المرحلة الثالثة:** تشمل القرنين الخامس والسادس هجري.

وفي هذه المرحلة اتجاه الأدب الصوفي إلى الحب الإلهي و مدح الرسول(ص)و الشوق إلى المقدسات وفيها نشأة الأدب الصوفي الفارسي كما ظهر شعراء العربية الكبار منهم السهر ودي السامي الرفاعي عبد القادر الجلاني.

4**– المرحلة الرابعة:** تشتمل القرن السابع .

فيه بلغ الشعر الصوفي قمة نهضته ومن أعلامه ابن الفارض محي الدين عربي عبد العزيز الدمير ابن عطاء الله السكندري .

5- **المرحلة الخامسة** : تشمل القرن الثامن هجري إلى يومنا هذا ومن أشهر أعلامه الشعران والنابلسي[1]

د– خصائصه

[1]– ينظر:د.محمد عبد المنعم خفاشي ، الأدب في التراث الصوفي، ص17.

1 – الرمزية وهي من أهم خصائص الشعر الصوفي وبرمزيته الأسلوبية والموضوعية هو صاحب نزعة سريالية والمذهب السريالي يدعو إلى التحلل من كل المنطق التقليدي ويبين دور اللاوعي في العمل الفني .

2 – الشعر الصوفي عبر عن الحب أعظم تعبير واتخذوه مطية في الحياة وانتهى بهم الحب إلى الحب الإلهي.

3– الشعر الصوفي ثري بالمعاني واتساع الخيال وتنوع الأغراض القدر على استخدام الألفاظ.

4– هو يعبر عن وجدان الشاعر إذ هو أدب وجداني خالص و هو مذهب رومانسي[1].

كما نجد عند الشدادي أن للقصيدة الصوفية أربع خصائصها تتمحور في :

- تجربة باطنية
- شعور بألم المعانات.
- التجول في مناطق قصية .
- اكتشاف المجهول برؤية تغُص في الأعماق[2].

فهو وضح السمات الأساسية لهذا النوع من الشعر(الشعر الصوفي)، فالشاعر هنا يعبر عن تلك المشاعر والأحاسيس التي يشعر بها، إذ يعيش علاقة حب روحانية مع الله.

إضافة إلى هذه الخصائص نجد :

---

[1]- د:محمد عبد المنعم خفاشي،الأدب في التراث الصوفي ،ص175.

[2]– الشعر و التصوف، .http//www.aktab.ma

قدسية المحبوب:

هو تفريق بين الشعر العذري والشعر الصوفي، إذا كان الشعر العذري يتفق مع الشعر الصوفي في صدق العاطفة واتجاه المحبوب والإخلاص له والوحدة والاستعداد والتضحية فإنهما يختلفان في نوع هذا المحبوب فالعذري يتعلق بكائن بشري، أما الصوفي يتعلق بذات مقدسة وبالتحديد الذات الإلهية والرسول(ص).

قصدية القصيدة :

هي قصدية تتسم بقصد محدد هو تمجيد الذات الإلهية أو مدح الرسول "ص" وإظهار حب الشاعر وإخلاصه وتفانيه في حبهما .

وإن كان تمجيد مكان أو زمان أو التأمل في الوجود الإنسان فهي لا تعد من الشعر الصوفي بل شعر رومانسي فهو ليس شعر صوفي بالتأكيد القصد.

لغة إشارية:

عن أغراضهم يبدو أن الصوفي يستخدم اللغة لتعبير عن حالته المختلفة وهي حالات ليست من الأغراض التي تعارف عليها القوم ولا تنتمي إلى واقعهم فالصوفي بين الحضور والغياب بين اتصال وانفصال، عن العالم الواقعي فهو لا يستطيع أن يصف تجربته تلك بلغتنا الاعتباطية الصالحة لعالمنا الواقعي التي تحكم فيها قواعد النظم البلاغية وعلم الدلالة وإذا اضطر إلى استعمالها فهو مضطر إلى

تجاوز تلك القواعد وتحطيم العلاقة القائمة بين الألفاظ ومعانيها وجعل تلك الألفاظ تحمل وتشير إلى مدلولات جديدة كما تفصل الروح عن الجسد تفصل اللفظ عن معناه[1].

المصطلح الصوفي :

تنقسم اللغة إلى لغة عامة ولغة خاصة فاللغة العامة هي التي يشترك في استعمالها عامة الناس، أما الخاصة فهي لغة جماعة معينة تشترك في مهنة من المهن أو مذهب من المذاهب الفكرية فتكون، لغة الجماعة مطرزة بمصطلحات معينة لا يفهمها إلا أفراد تلك الجماعة وللمتصوفة لغة خاصة من حيث العبارات .

وفي هذه يقول الكلاباذي "للقوم عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم".[2]

ولشعر الصوفي خاصية تتعلق بعدد الأبيات، فباستثناء بعض القصائد الصوفية المطولة التي تغنى أصحابها بترجمة التجربة الروحية بأسرها وهي قصائد تعدت أبياتها مئة بيت.

فإن الأغلب والأعم من الشعر الصوفي يأتي على هيئة أبيات، والعديد من الدواوين الشعرية لكبار الصوفية تشمل على مقطوعات لا تزيد أبياتها عن خمسين بيت بل تقف أحيانا عند بيت أو بيتين مثل ابن عربي عبد الهادي السودي اليمني .

[1] – ينظر:علي القاسمي، الشعر والتصوف، الشبكة العربية العالمية،27 مارس2009، الموقع الالكتروني sttp:// WWW.globard et work.com

[2] – ينظر:علي القاسمي، الشعر و التصوف، الشبكة العربية العالمية،27 مارس 2009، الموقع الالكتروني:sttp:// WWW.globard et work.com

أما من حيث العروضية جاء غالب شعرهم من البحور المشهورة الطويل الوافر الكامل .

السمة الأخيرة تتمثل في ذلك الحشد الوافر من الأبيات مجهولة المؤلف فنجد في بعض الكتب التي ارخت لتصوف ورجاله من القرون الأولى في متنها : قال بعضهم، أو أنشد في معناه، فهذا يوحي إلى مجهولية المؤلف[1].

كل هذه الخصائص يمكن تلخيصها في ذلك الأسلوب الذي تعتمده الصوفية، حيث عبر عنه مصطفى حلمي، أن الصوفية المسلمون اصطنعوا فيما صدر عنهم من آثار، لا سميا ما كان من هذه الآثار نظماً، أسلوبين مختلفين في التعبير عما يجول في أنفسهم من فعل الحب ووصف ما يختلق في قلوبهم من انفعالات وعواطف، وما ينكشف لسرائرهم من لطائف ومعارف. فهم يصطنعون تارة أسلوب العبارة و التصريح الذي يرسلونه إرسالا مطلقا من كل قيد من قيود الرمز والإلغاز، بحيث يتهيأ للقارئ أو السامع أن يتبين في سهولة و يسر، وتارة أخرى يصطنعون أسلوبا لإشارة والتلويح الذي يعمدون فيه إلى الإغراب والإغماض، ويعولون فيه على المجازات والاستعارات والكنايات، ومن ألوان الرمز الملغز، والذي من شأنه أن يزيد الأمر خفاء، فلا يكاد القارئ أو السامع يدري ما وراء هذه الألفاظ، التي صيغت على هذا الوجه من أوجه البلاغة في هذا الضرب من الأسلوب[2].

مواضيعه:

[1]– ينظر: يوسف زيدان ، خصائص الشعر الصوفي، موقع يوسف زيدان .
الموقع الالكتروني://:www.ziedan.comsttp:

[2]– ينظر: مصطفى حلمي، الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، دار القلم، مصر1970، ص6.

إن أهم خصائص الشعر الصوفي وأبرزها هي ما يعتمده الشاعر في سلك سبيل الرمز والكناية وضرب الأمثال، ليحمل البيت الشعري بين طياته تفعيلات ما لا حصر لها من الدلالات، وأبرز هذه الرموز وأكثرها ورودا في الشعر الصوفي،إشارتهم لذات الإلهية.

الصوفيون هم أصحاب ذوق وأهل شعر، يصعب عليهم أن يعيشوا تجاربهم الروحية دون أن يكون لشعر نصيب في إحياء قلوبهم الظامئة ونفوسهم المتعطشة، التي تطرب لمعاني القصائد الرقيقة، فالشعراء تطرقوا إلى عديد من قضايا وموضوعات التي استقل بها الشعر الصوفي وتميز بها، ومن أهم الموضوعات نجد:

1- **التقشف والزهد في الدنيا** : ويتمحور حديث الشعراء فيه حول الوعظ والتذكير من ناحية والحكمة الدينية من ناحية أخرى حيث يمثل الزهد أحد المقامات والطرق الموصلة إلى الله[1]

2-**الحب الإلهي**: ويمثل هذا الاتجاه أكثر المجالات وفرة وارتيادا لشعراء الصوفية، حيث اتخذوا الغرض أداة للاستعانة على بث معاني القرب والتودد إلى الذات الإلهية.

3-**المديح النبوي** : وهو من أكثر المجالات إنتاجا وإبداعا لدى شعراء الصوفية. ويعتبره الصوفي باب من أبواب من اجل الوصول إلى الله [1].

وهذا ما أكده الدكتور مصطفى حلمي في كتابه الحب الإلهي في التصوف الإسلامي، قال "إذا انطلقت ألسنة أهل الأذواق الروحية من الصوفية، بروائع من النظم وبدائع من النثر حتى أن الواحد من أولئك

[1]- ما أسباب ظهور الشعر الصوفي،2007، الموقع الإلكتروني:sttp://WWW .KASNAZAN.COM

وهؤلاء لا يكاد ينفك عن أحد هذين الحبيبين، أوكلاهما فيما يصدر عنه من أقوال، وأحوال، وأفعال وما يتأثر به من مشاهد ومبادئ فياضة بأسمى معاني الجمال والجلال والكمال وأحد هذان الحبين هو حب الإلهي الذي يتخذ المحب موضوع حبه من الذات الإلهية، أو الحقيقة العليا، ويتحدث فيه عن الحب المتبادل بين الله والإنسان أو بين الحق والخلق على حد تعبير الصوفية أنفسهم، وثانيهما هو حب النبوي الذي يتخذ فيه المحب موضوع حبه من النبي محمد(ص) أو من النور المحمدي، أو الحقيقة المحمدية التي هي عند الصوفية أسبق من الوجود على كل موجود بصفة عامة، وعلى وجود محمد(ص) بصفة خاصة ، من الصوفية من جمع بين هذين الحبين ومنهم من تخصص في نظمه ونثره في أحد هذين الحبيبين دون الأخر[1].

4- المقامات: ويستهدف هذا الغرض من الشعر إبراز ما تحقق للعبد من المكاسب الخاصة من خلال مجاهداته وعبادته وما حصل عليه من مواهب ربانية .

5-المناجاة: ويعد هذا النوع من الشعر بمثابة سرد للتجربة الشخصية في التصوف.

6- التوسل والاستغاثة: وهو من أهم خصائص الشعر الصوفي، ويهدف إلى التماس قضاء الحاجة بواسطة النبي وبغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين عند الله.

7- **مدح الشيوخ** : ويستهدف هذا اللون إطراء شيوخ الطرق الصوفية وإبراز مآثرهم وكراماتهم بغرض إثبات أحقيتهم في التقديم والتبجيل[2].

[1]- مصطفى حلمي،الحب الإلهي في لتصوف الإسلامي ،ص5.

[2]- مأسباب ظهور الشعر الصوفي،2007، الموقع الالكتروني :sttp:// WWW .KASNAZAN.COM

كما يمكن تقسيم الإنتاج الشعري الصوفي إلى **المنظومات والإلهيات** والمعيار المعتمد في هذا التقسيم هو المعيار الفني .

أ–المنظومات : أقل فنية وشعرية من الإلهيات وموضوع المنظومات قد توزعت بين القواعد الفكرية والأخلاقية للتصوف مثل مفاهيم الاتصال بين الحق والخلق ونظرية الوحدة ومعنى الاتحاد، ومفهوم الربوبية ومفهوم العبودية وحقيقة الأشياء والحقيقة المحمدية وكذا خصال المتصوفة وصفاته في خلوته مع نفسه.

ب –**الإلهيات** : فهي أرقي ما أبدعه الصوفية من شعر فهو على درجة كبيرة من الفنية والجمالية إذ هو غني بالإشارة والرمز، والإيحاء، وتعدد المعاني، فموضوعاته تتمحور في الأحوال والإسرار والحب الإله.[1]

7– الشعر الصوفي في الجزائر:

أ–بدايات الشعر الصوفي في الجزائر:

تحديد بدايات الشعر الصوفي في الجزائر يمكن ربطها ببدايات الشعر الصوفي في المغرب العربي وذلك أن استقراء ملامح الخطاب الصوفي في الشعر الجزائري القديم يدعونا لنقف أولا عند بديات الشعر الصوفي بالمغرب العربي.

[1] خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف عند إبن عربي، دار تويقال لنشر، ط1،2004، ص14.

والزهاد والمتصوفة عادوا إلى فن الشعر للتعبير عما يعشونه، ومن شواهد ميلاد الشعر الصوفي في الجزائر، التعدد الكبير والهام من الزوايا التي وجدت في الجزائر، وكذا تعدد الشعراء الصوفيين منهم أبو مدين شعيب، عفيف الدين التلمساني، أبي حسن الجراري، عبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي.

ب – موضوعات الشعر الصوفي الجزائري :

الشعراء الجزائر الصوفيين عاشوا التجربة الصوفية بجوارحهم فهم تعلقوا بذات الإلهية، إذ نجد الموضوعات الأساسية التي تطرق إليها جل من نظم في الشعر الصوفي.

أولا :الحب الإلهي :

هو جوهر التجربة الصوفية وهو المحور الأساسي الذي يظهر جليا لكل مطلع على الشعر الصوفي،وقد تغنى وتفننا الشعراء في وصف جماله وكماله وجلاله، وأصبح هذا الحب النار التي يحوم حولها الصوفية ولاسيما الشعراء منهم، فالشاعر يتأمل في عظمة الخالق ويشاهد الحق بعين بصيرة فيفقد شعوره عما يحيط به من محسوسات.

ومن الشعراء الجزائريين الذين عبروا عن الحب الإلهي عفيف الدين التلمساني فيقول :

أُحِبُ حَبِيْنًا لاَ أُسَمِيهُ وَكَتْمُ الْهَوى لِلْقَلْبِ اَنَكَى وَ اَنْكَأُ

أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَايَ فَكَيْفَ أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ سِوَايَ وَاَبْرَأُ

أَبِيْتُ أُعَانِي فِيْهِحُرَّ جَوَانِحِي وَبَيْنَ جُفُونِي مَدْمَعٌ لَيْسَ يَرْقَأُ

فالحب في هذه الأبيات هو الحب للحب أي رغبة لذاتها،فالشاعر الصوفي أو العاشق الصوفي لا يريد بعشقه هذا أن يصل إلى غاية أخرى، وإنما غايته الوحيدة أن يحب و يرغب في هذا الحب، فهو لا يحب الله مخافة من النار أو العذاب أو طمعاً في الجنة، وفي هذا يقول الجنيد"كل محبة كانت لغرض، فإذا زال الغرض زالت تلك المحبة".[1]

إذا الشاعر يفنى في حبه و لا يرى غير مجنونه،فكما يرى الباحثون أن الكثير من الشعر في مدح الرسول الكريم يندرج أيضا ضمن الشعر الصوفي الغزلي،وهذا لما يشتمله من تغزل في جمال الرسول(ص)،وأيضا هذا الشعر يستحضر جانب المدح المقدسات و الشوق إليها، فهو شوق يضفي على القصيدة سمة الغزل فالشوق إلى كل هذه الأماكن ما هو إلا شوق لله عزّ وجل و رسوله الكريم.

ومن شعر الشوق وحب الرسول(ص) قول الشاعر أبي عبد الله التميمي :

أنِي لاَ أَدْعُو اللهَ دَعْوَةُ مُذْنِبً عَسَى اَنْظُر لِلْبَيْتِ الْعَتِيْقَ وأَلْتُمَ

فَيَا طُوْلَ شَوْقِي لِلنَبِي وَ صَحْبِهِ وَيَا شَدَ مَا يَلْقَى الْفُؤَدَ وَيَكْتُم[2]

الغزل أو الحب الصوفي من حب الله والرسول والأماكن المقدسة هو محور وأساس بناء أو تشكل الخطاب الصوفي من جهة،ومن جهة أخرى نجد موضوعات أخرى تتداخل معه، وهذا لكي تترجم حقيقة ما يعيشه الشاعر.

[1]- ينظر:عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي في الشعر المغربي القديم، مجلة الأدب و اللغات،ع5، جامعة قصدي مرباح، الجزائر،2006م ، ص248

[2] -عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الكتاب العربي للطباعة النشر و التوزيع ، ص68.

ثانيا :السفر أو الرحلة :

إن الشاعر في التجربة الشعرية يعيش سفرا روحياومن خلال تطرقنا لمفهوم التجربة الصوفية التي هي تذوق حلاوة الإيمان، ولإدراك عظمة الخالق، كما يسعى الشاعر إلى الكمال، ومن خلال هذا السفر يخرج تلك المشاعر ويترجمها إلى محسوسات فمن هنا نلتمس أن أكثر الموضوعات حضورا في شعرهم هو وصف تلك الرحلة، فالشاعر ينتقل من المجرد إلى المحسوس[1]، نجد أبي مدين شعيب الذي عبر على تلك الرحلة يقول :

رَكِبْتُ بَحْرَاً مِنَ الدُمُوعْ سَفِيْنَةُ جِسْمِي الْنَحِيْلْ

فَمَزَقَتْ رِيَحَهُ قُلُوْعِي مُذُ عَصَفَتْ سَاعَةُالْرَحِيْلْ[2]

ثالثا :الحنين :

الشاعر الصوفي يعيش غريبا في العالم المادي الذي لم يرغب فيه، فهو يسموا إلى العالم الروحي وهو في شوق دائم للقاء المحبوب، إذ يسعى دائما إلى عالم المحسوسات وأرقي المشاعر وعلو الأرواح.

و قال أبو مدين شعيب:

فَهَلْ لَدَيْكَ عَنْ الأَحْبَابْ مِنْ خَبَرْ فَهَلْ نَزَلَتْ بِذَلِكَ الرُبْعِ وَ النَادِي[3]

[1] – ينظر: محمد العربي ، الحركة الصوفية في القيروان في القرن الثاني إلىالقرن الرابع، مجلة الحياة الثقافية وزارة الشؤون القافية تونس، ع40 ،1986، ص3.

[2] - عبد الله الركبي، الشعرالديني الجزائري الحديث ، ص68

[3] –الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تر رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 1981، ص303.

رابعا :الخمر :

الشاعر يفنى و يذوب عند اتصاله بذات الإلهية ،فهو يصل إلى درجة السكر،وعند رغبته في التعبير عن الحالة التي آلى إليها يستخدم رموزا موحية ذات دلالات تصف حالته ومن الرموز الأكثر استعمالا في الشعر الصوفي، رمز الخمر أو السكر، فهو يأخذ بعدا دلاليا واسعا للكشف عن درجة الحب، وهي درجة الهيام، فهي الدرجة القصوى من الحب حتى إن الإنسان لا يعي ولا يستوعب شيء إذ يعيش حالة سكر، و مثال عن ذلك :

يَامَنْ لاَ ذَاقَ سُكْرَ طُعَمَ مُحِبِه وَلاَ رَبَاهُ بِذَوْقَ وَلاَ تَرَبَى

وَلاَ انَدَهُ سَاقِ وَ لاَ قَطُ لُبَى وَلَا شَاهِدْ لَذَةُ الشَاهِد[1]

الشاعر يدعو إلى السكر ففيه يسافر الإنسان إلى عالم مميز يشعر بالُّذة والفرحة، فمن خلال هذا السمو وحرقة اللقاء لذات الإلهية تبرز أهم السمات الشعر الصوفي الجزائري، حيث أن الصوفي يعيش لحظات روحية يصل بها إلى اللاوعي والسكر فهو اتخذ الخمر في شعره لتعبير عن تلك السكرات،

والخمر أخذ بعدا رمزيا يشير إلى معاني الحب والفناء واتصاله بالذات الإلهية .

ومن السمة المميزة أيضا في الشعر الجزائري أنه عرف تطورا وانتشار في القرن السادس، كما أن الشعراء انقسموا إلى تيارات منها سنية وفلسفية والسني الفلسفي[2].

[1]– العربي أبي مصطفى الشوار، أبو مدين شعيب، مطبعة الترقي، دمشق،1983 ، ص67.

[2]– ينظر:محمدالعربي، الحركة الصوفية في القيروان في القرن الثاني إلى القرى الرابع، ص6.

لقد كان من الطبيعي ارتباط الشعر الجزائري بالفكر الإصلاحي، لأن الذي ندعوا إلى الإصلاح احتضنوا التَّراث والدين والأدب واللغة والثقافة الجزائر، ومن ثم ازدهر الشعر في الجزائر[1].

[1]– عبدد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الشعر الديني الصوف ، ص233.

1- تعريف الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي هو شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، فهو منظوم شعبي شفوي بلهجة محلية سهلة التعابير والكلمات، يتكون من شقين يتمثلان في :

الشعر: الشعر هو أقدمالفنون الأدبية، يعني في الأصل (علم) شعرت به بمعنى علمت به، ومن ثم يكون الشاعر بمثابة العالم.[1]

و الشعر أيضا هو " كل نص نتج عن نبض شعوري في قالب لغوي موسيقي سليم، وحرك خيالا في المتلقي"[2] والكلمة الثانية تتمثل في :

- **الشعبي**: وهذه الكلمة هي بمثابة تحديد لكلمة الشعر " وتحصرها في نطاق الشعب وهي صفة مشتقة من الاسم الموصوف (الشعب) و تحيل إلى مفهومين مختلفين:

أ- مجموع الناس يشتركون في علامة مماثلة، الدين، الدولة، الأصل، الأرض.

ب- فريق من الأمة المعبّر عن النقيض من الطبقات الأخرى، بتوافر الزيادة في أحد الشقين الثورة أو المعرفة".[3]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت ط6، لبنان،1997، ص409.

[2]- أيمن البلدي، في الشعر و الشاعرية، ج1،2003، ص10.

[3]- يوسف العارفي، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان- دراسة اثنوغرافية- مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الشعبي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012، ص40 .

إن الولوج في غمار الحديث عن الشعر الشعبي هو أمر طويل وشيق، وذلك لتعدد وغنى مواضيعه إذ يسلط الضوء على جوانب الحياة ومجالاتها فقد نظم لتعبير عن الإنسان، الحياة، الوطن الدين، العلم، العادات والتقاليد، الكفاح و التشييد بالأبطال...الخ، فهو وسيلة تعبيرية نابعة من أعماق الطبقات الشعبية، إذ يصور ألامها وأمانيها، تطلعاتها ومعتقداتها، و "الشعر الشعبي معلم من معالم الثقافة الشعبية، وسيلة لغوية عميقة التأثر يصور جميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، وهو شكل عام يغطي مختلف تفاصيل الحياة اليومية للفرد و الجماعة"[1]، و إن ما ساعد على انتشار هذا الجنس الأدبي و اهتمام الناس به يكمن في بساطة تعبيره وعفوية لغته، فهو بسيط بساطة الشعب وأحواله وهو ملكه الخاص ينفّس ويغذي روحه به " إن الشعر الشعبي يتناسب و مسمّاه فهو غذاء روحي للجماهير الشعبية تتمتع به في مشواره ، إذ هي التي أنشأته و أنشدته "[2] ،كما شارك الشعر الشعبي أفراح العامة، إذ ألفت منه أغاني شعبية تكاد لا تخلوا الأفراح منها وتتداولها الألسن وتتوارثها الأجيال ، فهذا الموروث الشعبي يربط بين الماضي و الحاضر و المستقبل،فهو نتاج الجماعة وبلغة عامية ساير وواكب الزمن لكن بقي محافظا على شكله ومضمونه المميزين، يقول التلي بن الشيخ "إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية ، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه ،متوارثا جيل عن جيل عن طريق المشافهة ، وقائله قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي أيضا"[3]، ومن هنا نستخلص أن الشعر الشعبي شكل من أشكال الأدب الشعبي وهو ذلك الكلام الموزون المقفى، المنظوم بلغة عامية ،من نتاج الفرد والجماعة

[1]– عبود زهير كاظم ، قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي ،ط1 ، السويد،2003 ،ص01.

[2]– سالم علوي ، أصالة الشعر الشعبي أعمال المهرجان الوطني الثاني للشعر الشعبي و الأغنية البدوية، الأغواط، من17 إلى 21 نوفمبر 1999، ص 26.

[3]– التلي بن شيخ ، دور الشعر الشعبي في الثورة من 1980 إلى 1945، المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع، مخطوط1977، ص395.

بالتالي يغلب عليه الطابع الجماعي، وهو ذاكرة الشعوب و هوية الأمم، وله نفس أغراض الشعر المنظوم باللغة الفصيحة.

لكن الأمر الذي يختلف فيه الدارسون للشعر الشعبي هو مصطلح التسمية، فهناك من يفضل مصطلح **الشعبي** وآخرون يطلقون عليه مصطلح **الملحون**، و كذلك مصطلح **الزجل**،والسؤال الذي يطرح نفسه، ماهو الفرق القائم بين هذه التسميات وهذا ما سنجيب عليه تحت عنوان:

2- إشكالية التسمية و تعدد المصطلحات:

عرف الشعر الشعبي تسميات مختلفة، وهذا الإختلاف يعود إلى تباين مفهومه لدى الباحثين فهناك من ربطه بالتعبير العامي والشفوي، كذلك مجهولية المؤلف، والبعض الآخر يربطه بالقدم وأنه لسان الجماعة، بالتالي يجب الإهتمام بالنص بدل المؤلف.

أ- مصطلح الشعر الشعبي:

يتكون هذا المصطلح من كلمتين، الكلمة الأولى هي الشعر والكلمة الثانية شعبي وهذه الأخيرة حددت وخصصت الكلمة الأولى كما سلف الذكر، " و الشعبي هنا لا تعني الرخيص أو الدنيء وإنما تحيل إلى مفهومين رئيسيين هما:

1- نظم الشعر بلغة شعبية مهذبة يفهمها المتعلم و الأمي .

2- يعبر هذا الشعر عن وجدان الشعب و مكوناته فهو نابع من روحه و كيانه، وهو لسان حاله "[1]

وقد تبنى التلي بن شيخ هذا المصطلح ويرى أن تسمية الشعر الشعبي " تتطابق مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى مثل الملحون والعامي والزجل"[2]،وللشعر الشعبي نفس خصائص الأدب الشعبي المتمثلة في مجهولية المؤلف، الشفوية، اللغة العامية التوارث عبر الأجيال فيقول عنه التلي بن شيخ " إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية ، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب و أمانيه ،متوارثا جيل عن جيل عن طريق المشافهة و قائله قد يكون أميا و قد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثل المتلقي."[3]

لكن الإشكالية التي يصادفها هذا التعريف هو أن معظم الأشعار التي وصلتنا سواء كانت قديمة أو حديثة لا تتوفر على هذه الشروط خاصة فيما يخص مجهولية المؤلف، فمعظم النماذج الشعرية تكون معلومة المؤلف، وقد عبر عبد الله الركيبي رفضه لهذا المصطلح قائلا : " إطلاق صفة الشعبي عليه، قد يوحي بأنه مجهول المؤلف والشائع أن صفة الشعبية في الأدب تنصرف إلى ما له عراقة وقدم، و إلى ما يعبر عن روح جماعة بالكلمة بحيث يصبح هذا الشعر تعبيرا عن وجدان الشعب عامة وعن قضاياه دون اهتمام بالقائل إذ ينصب اهتمام المتلقي على النص وحده"[4]، كما يضيف أن تسمية الشعر

[1]- يوسف العارفي، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان ،ص 48.
[2]- التلي بن شيخ ،دور الشعر الشعبي في الثورة من 1980إلى 1945،ص 372 .
[3]- المرجع نفسه، ص395.
[4]عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص361.

الشعبي" استخدمها كثير من الدارسين الغربيين ليفرقوا بين هذا الشعر و بين الفصيح "[1]، وهذا الأمر يستدعى بالضرورة تسميات أخرى.

ب- مصطلح الشعر الملحون:

ومن مؤيدي هذا المصطلح محمد المرزوقي الذي يرى أن **الملحون** أولى وأعم من **الشعبي** فيقول:" إن الشعر الملحون الذي نريد أن نتكلم عنه اليوم فهو أعم من الشعر الشعبي، إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله، وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا له أو كان من شعر الخواص، وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو من لحّن يلحن في كلامه، أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معربة"[2] و يعلل عبد الله الركيبي تفضيله لمصطلح الملحون على غيره من المصطلحات فيقول في ذلك "وقد اخترنا مصطلح الشعر الملحون على باقي المصطلحات الأخرى التي استخدمها الباحثون، مثل الشعر الشعبي أو العامي تماشيا مع ما

شاع في بيئة المغرب العربي التي عينت بدراسة هذا الشعر فجمعته، وسجلته وقد اتخذ هذا الشعر اللهجة العامية أو الدارجة أداة له، وذلك كان تعبيرا عن مزاج العامة"[3] .

و من هذين الرأيين نستنتج أن الباحثين قد تطرقا إلى لغة الشعر الملحون التي تخالف قواعد اللغة من نحو وصرف وإعراب، الأمر الذي أحدث فرقا بينه وبين الشعر الفصيح وهذا ما أشار إليه عبد الله الركيبي " لما كان الشعر الملحون في معظمه تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه و بينها هو في

[1]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائي الحديث، ص363.
[2]- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، ط5 تونس، 1967، ص51.
[3]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص361.

الإعراب فهو إذن من(لحن) في الكلام إذ لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة "[1]، ومنه " فاشتقاق كلمة الملحون من (لحن) فكرة أن الشعر الملحون يستعمل لغة غير سليمة كما يدل على أنه إنتاج شعري نظم من أجل الغناء واللحن"[2].

وقد أشار ابن خلدون إلى النقطة ذاتها فيقول: " كانوا يقرضون الشعر في سائر الأعاريض ...و يأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح و الرثاء..."[3] .

ج- مصطلح الزجل:

يرى المغربي عباس الجراري أن مصطلح الزجل هو الأنسب لهذا الشعر بدل الشعبي والملحون " فإن نفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي المغربي وندعوا إلى هذه التسمية بدلا من أية تسمية أخرى تطلق عليه مهما بلغت من الذيوع و الإنتشار"[4]

وقد اقترح هذا المصطلح لتوحيد التسمية في أقطار المغرب العربي، وما يعرف عن الزجل أنه " نظم كلام العوام على الإيقاع وأشكاله عديدة لا تعد، وهو شعر بلسان الجمهور يصور العواطف والمعاني التي تمر بالمخيلة، بريشة اللسان على نسج الكلمات العامية المنتقاة وإرسالها حملا ذات نبرات موسيقية شجية"[5] .

---

[1]- المرجع نفسه، ص361.

[2]-سالم بن لباد ، تمثلات الشعر الشعبي لشخصيات سياسية (الشيخ بوعمامة ،ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة)، مخطوط أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي ، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- ،2013 م،ص18.

[3]-ابن خلدون ، المقدمة ، الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984 ،المجلد 2، ص582.

[4]- عباس الجراري ،الزجل في المغرب –القصيدة- مطبعة الأمنية المغرب ،ط1 ،1970 ،ص 54.

[5]- الخازن ، منير وهبة ، الزجل تاريخه أدبه أعلامه قديما و حديثا ، المطبعة البوليسية، حريصا ، لبنان،1952 ، ص 11.

لكن عبد الله الركيبي رفض هذا المصطلح " لأن الزجل تقليد للموشح أو هو صورة منه لكنه كتب بلهجة العوام واتخذ من الموشحات شكلا نسج على منواله"[1]، كما يضيف و يعلق على هذا الموضوع مشيرا إلى أن الزجل مزيج بين العامي والفصيح لذا نجده يقول: " والواقع أن إطلاق مصطلح الزجل على الشعر الجزائري الملحون يستقيم لأن ألفاظه كما ذكرنا ليست عامية وإنما هي مزيج من الفصحى والعامية ".[2]

لقد تعددت تسميات الشعر الشعبي وكثرت مصطلحاته ومنه أيضا الشعر البدوي ويطلق على شعر البادية، شعر الحضري وهو شعر المدينة، وشعر النبطي، ويعود سبب اختلاف التسمية على حسب رأي التلي بن شيخ إلى عدم تحديد الباحثين لمفهوم الشعبية فيذكر: " وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية ،مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي على الإبداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي"[3] ويضيف " كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النثر مع أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي"[4].

بالتالي فالتلي بن الشيخ يرى أنه لتوحيد تسمية الشعر الشعبي في كل أقطار البلاد العربية يحتاج إلى دراسة ميدانية كثيفة " ونحن نعتقد أننا في بداية مرحلة دراسة تستهدف تقييم الشعر الشعبي الجزائري والتعرف على دوره في مجال الثقافة و الفكر مما يجعل الرجوع إلى نصوص الشعر، والتقييد بالتسميات

[1]– عبد الله الركيبي،الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص 364.
[2]– المرجع نفسه، ص 365.
[3]– التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة من 1980 إلى 1945، ص365.
[4]– المرجع نفسه، ص 365.

التي يستخدمها الشاعر الشعبي عل ى الشعر ضرورية في هذا المجال، بدل الإعتماد على اجتهادات فردية سوف تزيد في توسيع الجدل و النقاش "[1]كما يدعوا الركيبي إلى توحيد المصطلحات فيقول: " والدعوة إلى توحيد المصطلحات أمر مسلم به، ولكن حين يكون المصطلح شاملا للموضوع وللمعنى العام الذي وضع له، أما أن يطلق على جزء خاص من هذا المعنى، فيشمل البعض دون الكل يصبح مصطلحا اجتهاديا، ومهما يكن من شيوع هذا المصطلح فإنه يبقى محل جدل وخلاف بين الدارسين، كذلك نحن نسلم بأن في توحيد المصطلحات توحيدا للفكر والنظرة، ولكن التوحيد ينبغي أن يصحبه مسح شامل للإنتاج الأدبي في البيئة العربية المترامية الأطراف ودراسته بتوسيع واستنباط المصطلح بعد ذلك".[2]

مهما اختلفت تسميات الشعر الشعبي ومصطلحاته إلا أنه يبقى نظم شعبي وبلغة شعبية

يعبر عن وجدان الشعب، فهو لسانه.

3- نشأة الشعر الشعبي الجزائري:

لقد كان لنشأة الشعر الشعبي ووجوده في الجزائر محل اختلاف الباحثين والدارسين لهذا الجنس الأدبي، " ويرجع ذلك للإهمال الذي لحق الشعر الشعبي من طرف المؤرخين الذين سكتوا عن ذكر الشعر الشعبي رغم معايشتهم فترات ظهوره "[3].

[1]- التلي بن شيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة من 1980 إلى 1945، ص 365.، ص365.

[2]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 486.

[3]- سالم بن لباد، تمثلات الشعر الشعبي لشخصيات سياسية (الشيخ بوعمامة ، ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة)، ص 20.

وحسب رأي عبد الله الركيبي فإنه يصعب تحديد العصر الذي نشأ فيه الشعر الشعبي في الجزائر " فبعض الباحثين يرجعون نشأة الشعر العامي إلى عصور موغلة في القدم ، إلى تلك اللهجات العربية ربما ظهر بعضها في العصر الجاهلي "[1].

و تعددت الآراء حول هذا الموضوع، فوجدت ثلاثة أصناف من الآراء، فأصحاب الرأي الأول يرون أن القصيدة الشعبية كان ظهورها الأول قبل الفتح الإسلامي والتي تعود جذورها إلى الشعر الأوروبي أما الرأي الثاني فيرى أن الشعر الشعبي سابق للزحفة الهلالية، لكن اندثرت معالمه بعد الفتح الإسلامي الذي جاء بمعتقدات جديدة مغايرة للوضع الذي كان عليه، والرأي الآخر يرى أن القصيدة الشعبية ظهرت مع الفتح الإسلامي للجزائر[2]، وهذا ما يؤكده الركيبي فيذكر : " وبالنسبة للجزائر يمكن القول بأن الشعر غير المعرب جاء مع الفتح الإسلامي ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجيء الهلاليين إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة، حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية ، وساهموا في تعريب الجزائر بصورة جلية اعترف بها كثير من الدارسين "[3] ، بالتالي فالشعر الشعبي انتشر بصفة واسعة مع الزحفة الهلالية إلى الجزائر سنة (460هـ 1067م)، فقد أثروا في المنطقة بلهجاتهم المختلفة والمتعددة إذ كانوا خليطا من القبائل العربية ، ويضيف الركيبي " و لا شك أن ضعف الثقافة

[1]- عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 365.

[2]- ينظر: يوسف العارفي ، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان ،53 .

[3]– عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص366.

العربية في عصور الإنحطاط وفي عصر الأتراك ، ثم في عهد الإحتلال الفرنسي ساعد على انتشار هذا اللون من الأدب "[1].

في الأخير نقول أن القصيدة الشعبية الجزائرية هي ثمرة تزاوج الثقافات وخلاصة احتكاك بين " القبائل العربية و الحضرية و البدوية والتأثير الأندلسي والقبائل الأمازيغية "[2].

4-شكل القصيدة الشعبية الجزائرية:

القصيدة الشعبية في عمومها تتداخل مع جنس أخر وهو فن الرسالة، ويتجلى هذا بوضوح في معظم القصائد الشعبية، حتى عد من التقاليد الشعرية ولاسيما تلك التي تتمحور موضوعاتها حول الشوق إلى الحبيب وشيخ- شيوخ الطروق- أو حول التعبير عن الإحساس بالوحدة التي يعانيها الشاعر، وهذا ما نجدة في القصيدة الشعبية الجزائرية لكن نجد بعض الخصوصية في القصيدة الجزائرية أو نعتبرها ميزات تنفرد بها في بناء شكل الخاص للقصيدة الشعبية الجزائرية.

1-مقدمة القصيدة:

يفتتح الشاعر قصيدته بالبسملة على الطريقة النثرية وهذا دليل على المرجعية الدينية لدي الشعب الجزائري، وقد تجلى هذا في شعرهم ، مثلا افتتاحية الشاعر بزع مسعود:

بَسْمْ الله نَبْدَاْ أَنْشَادِي وَأَنْظَّمْ لَكْلَاْمْ جَبْتْ مَنْ لَكْوَان

[1]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص 366.

[2]- يوسف العارفي ، الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان ، ص55.

2-الألفاظ والعبارات:

إن الألفاظ التي استخدمها الشعراء الجزائريون، هي ألفاظ موحية معبرة عن تلك المعاني التي أرد الشاعر تحقيقها، وهي موحية حيث تؤدي بالمتلقي إلى عالم من التخيلات والتأويلات الامنتهية فالشاعر يوظف ألفاظ متنوعة بحيث يمكن تقسمها إلى:

- قسم يمكن إعادته إلى العربية الفصحى.
- قسم متأثر باللهجة الامازيغية .
- قسم يرجع إلى اللغة الفرنسية.

و مثال عن ذلك نأخذ قصيدة **بلقاسم بركان** * **التي عنونها بـ " أوليدات الرومية"**:

رُوْحُوْ يَاْوْلِيْدَاتْ الْرُوْمِيَةْ رُوْحُوا يَاْوْلِيْدَاتْ الرُوْمِيَة

خِّلِتُوا الْدَنْيَا مَخْلْيَّة وْايَبْقَّى الوْطَنْ مَشْرَارْ

يَبْقَاوْ حْيُوطْكُمْ مَبْنَيِّينْ أَدُوْرْ عْلِيْهُمْ لَحبَارْ

حَطُّوْا عْلِيهمْ لغْرَابَهْ وَالهَامَةُ عَرَّتْ لَطْيَارْ

حَتَى اَلثَعْالْبْ خَشَّتْ ثَمَّةْ وْحَفْرَتْ رَاهْ دَارَتْ غَارْ

يَبْقَى مَنَ غِيْرْ اَسْمْهَمْ وَغْرَابَ إِقَاقِي عْلَى لحَجَارْ

وَالْبُوسْطَةُ رَاهْ تتْقَى نْقُلُوا مَنْهَا لَخْبَارْ

أَضْرَبْهَا شَعْبْ الْحُرَيَةُ وْأَمَرْ عْلِيْهَا بَالتَكْسَارْ

اَللْي سَمَاتْهُمْ فْرَنْسَا الْمَاجُوسَيَة بَاسْمْ الْفْلاَقَةُ لَكْبَارْ[1]

أ- الأثر العربي :

كما قلنا سابقا عن تلك الألفاظ التي وظفها الشعراء هي ألفاظ فصحى، حيث لا نجد في نص ما يبتعد عن العربية إلا القليل من الألفاظ، صحيح يوجد بعض الاختلافات في النطق لكن إذا عدنا إلى العجم نجد أن ذلك اللفظ ما هو إلا اشتقاق للفظ عربي صحيح .

من هنا يتضح لنا أن الاختلاف الذي يبدو في الكلمة وأصلها العربي إنما يرجع إلى النطق المعتاد عند سكان كل منطقة ، وهذه هي خاصية من خصائص اللغة الشعبية فهي لا تلتزم بالقواعد النحوية و الصرفية، وهذا ما يحيلنا إلى أن القصيدة الشعبية الجزائرية ليست فصيحة تماما ولا عامية نهائيا، وهذا يتراء لنا في ألفاظ القصيدة السابقة مثلا عن ذلك **أوليدات** وتعني الأولاد، كما نجد أيضا **خَلِتُوْا** أي تركتم.

ب- الأثر الامازيغي:

[1]- أحمد جاب الله، قراءة في القصيدة الشعبية الجزائرية ، الموقع الالكتروني :2004 revues .univ-ouargla .dz

الأثر الأمازيغي واضحا في القصيدة الشعبية الجزائرية، فالأمازيغية جزئ من الثقافة الجزائرية، ويتجلى ذلك في الكلمات التي يوظفها الشاعر حيث ، نجد منها الشّاوية ، كما نجد ذلك أيضا في حركتها وبنائها ، حيث الامازيغية نجد فيها بعض الكلمات تبدأ بساكن خلافا للعربية التي لا تبدأ بساكن ولا تنتهي بمتحرك ، كما هناك كلمات أخرى تنتهي بساكنين أو أكثر وهذا ما أشار إليه علي دبور:"والغة البربرية سلسة مرنة ، وتقبل كل الألفاظ الدخيلة فتبررها فتصبح جزء منها ، ومن خصائصها التي لا نجدها في العربية الابتداء بالساكن كقولهم (**أَتَزَالِيتْ**) للصلاة، ومن خصائصها اجتماع ساكنين وأكثر وقد ينقلب الفعل اسما و الإسم فعلا"[1].

ج- الأثر الفرنسي:

الشعب الجزائري يتميز بتوظيف ألفاظ وعبارات أجنبية في حياته اليومية وهذا بعامل تاريخي وهو الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر لفترة زمنية طويلة، وبهذا ترسخت هذه اللغة الدخيلة في أوساط المجتمع الجزائري وتوظيفها سار أمر اعتيادي.

والشعراء هم أيضا من أفراد هذا المجتمع وتأثروا بهذه اللغة الدخيلة و وظفوها في أشعارهم كما وظفوا مصطلحات باللغة الفرنسية، وكونهم من عامة الشعب حيث لا يعرفون بدلا لهذه الكلمات في اللغة العربية الفصحى.

3-سقوط حركات الإعراب:

[1]- ينظرعلي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مطبعة البابلي، ط1 ،1964 ، ص 49.

"تتميز لغة القصيدة الشعبية الجزائرية كغيرها من القصائد الشعبية العربية بظاهرةتسكين أواخر الكلمات،وهذه الظاهرة قديمة جدا في اللاهجات العامية "[1] ، و مثال عن ذلك من النموذج الأول لبلقاسم بركان، منها: لَوْطَنْ اَدْوَرْ لَخْبَارْ حْفَرْتْ...

4- الدراسة الصوتية:

أ-الحذف: لغة القطع و هو ظاهرة تشيع في لغة العرب وتهدف في كل مواقعها إلى التخفيف"[2]دائما من النموذج الأول:لْخْبَارْ فتم حذف الألف .

و الحذف يتم عندما يحس الشاعر بثقل في الكلمة فهنا يقوم بحذف حرف أو حركة مثال عن ذلك في القصيدة نفسها كلمة.لَخْبَارْ واصلها الأخبار قام الشاعر بالحذف لتخفيف.

ب- الإبدال: الإبدال هي الظاهرة البارزة في القصيدة الشعبية الجزائرية و الإبدال هو"ظاهرة تتمثل في كون صوتين ما من الأصوات يتبادلان مكانهما في الكلمة ما"[3]، ويقع الإبدال بين أصوات متقاربة في الصفات والمخرج .

ج-النحت: هو اختصار كلمة في حروف أو جملة في كلمة.

و"النحت من الظواهر الصوتية التي استساغها الشعر الشعبي الجزائري في عملية التلفظ "[1]وهذا يمكن إدراجه ضمن الحذف لأن هدفهما مشترك وهو التخفيف.

---

[1]- وليد صديق ملحم، البنية اللغوية والصوتية للهجة بغداد، مجلة التراث،ع4، وزارة الثقافة والإعلام العراق، العراق،1980، ص81

[2]- محمد سمير نجيب البدي، معجم المصطلحات النحوية والصوفية، مؤسسة ا لرسالة، بيروت، ص62.

[3]-كانتينواجان، دروس في علم الأصوات العربية، تر: صالح القرمادي، ا لشركة التونسية لفنون الرسم،1966 ، ص26.

5-الشعر الشعبي الديني (الصوفي):

تأثرت الثقافة الشعبية الجزائرية تأثرا بليغا بالحركة الصوفية التي شهدتها الجزائر في أوائل القرن الثاني للهجرة والتي كانت بدايتها عبارة عن زهد في الحياة كما سلف الذكر، فقد اتخذ الزهاد وشيوخ الطرق الصوفية الثقافة الشعبية عموما والشعر الشعبي خصوصا وسيلة لنشر تعاليم خطابها الديني الذي تتميز به، كما عالجت بفضله مسائل اجتماعية حتى السياسية ، يقول سعيد جاب الخير "وقد توسلت المرجعيات الصوفية من الزهاد و العارفين و شيوخ الطرق منذ وقت مبكر بالفنون و الثقافة الشعبية لتقوم بوظيفتها في نشر وتجذير خطابها الديني والروحي و الاجتماعي و حتى السياسي أحيانا" [2] ، ويضيف أيضا "و في هذا الإطار يأتي الشعر الشعبي (الملحون)على رأس الوسائل التي وظفتها الطرق الصوفية في نشر تعاليمها"[3] ، ولم يكن الانتماء إلى طريقة صوفية عيبا بل كان يمارس علنا ومن جميع طبقات المجتمع ، لكن الطرق الصوفية كانت تستهدف الطبقة الفقيرة والبسيطة في المجتمع كون أن شيوخها أطلقوا على أنفسهم الفقراء.

وكما أنه لا يخفى على أحد الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي عاشتها الجزائر والتي بدورها أثرت على الشعر الشعبي وجعلته يسير وفق منحى ديني، وعبد الله الركيبي يقر بأنه "لا شك أن ضعف الثقافة العربية في عصور الإنحطاط وفي عصر الأتراك ثم في عهد الإحتلال الفرنسي ساعد

---

[1]- كانتينواجان ، دروس في علم الأصوات العربية، تر: صالح القرمادي ، ص26.

[2]- سعيد جاب الخير، العلاقة بين التصوف و شعراء الملحون في الجزائر-محمد بن سايب نموذجا- 2007/09/14، الموقع الالكتروني HTT://WWW .STARTIM.COM:

[3]- المرجع نفسه الموقع الالكتروني: HTT://WWW .STARTIM.COM

على انتشار الشعر الشعبي الديني بمختلف موضوعاته فظهر شعراء متصوفة أنشدوا قصائد ملحونة وموشحات وأزجالا في المديح النبوي في الإشادة في الدين" [1]

و الشاعر الشعبي الديني(الصوفي) تشبع بالثقافة الدينية والتي هي تحت راية الإسلام، فعمل جاهدا للحفاظ على هذا الدين و ترسيخ معالمه في المجتمع بعد أن صار مهددا بالتنصير من قبل الإستعمار الخارجي، فأصبح مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية ، فهذه الثقافة تعد زادا معرفيا تغذى منها في المساجد والزوايا أين تلقي تعاليم هذا الدين، بالتالي فالشعر الشعبي الديني (الصوفي) يعبر عن الجماعة الشعبية باستحضار المؤهلات الدينية والثقافية والإجتماعية ، فنظمت وشيدت قصائد شعبية تنبض بالقيم الصوفية وتعبر عن كل ما هو متعلق بالدين الخالص " و لا يعني ذلك أن شعراء الملحون كانوا عاجزين عن نظم الشعر الفصيح و لكنهم كانوا ينظمون الملحون أكثر من الفصيح (سيدي قدور العلمي نموذجا) لأنه أكثر وأسرع انتشارا وأكبر أثرا بالتالي أكثر فاعلية في توصيل الرسالة الصوفية "[2] ، ومن الواضح في سياق هذا الكلام أن شعراء الشعر الشعبي الصوفي كانت لهم القدرة في نظم شعر صوفي فصيح على الأوزان الخليلية لكن هذا الأمر سيعيق هدفهم كون أن هذا الشعر- الفصيح- لن يفهمه إلا الأقلية المتمثلة في النخبة التي كان لها الحظ من التعليم.

عرف عن الصوفية حبهم للسماع و ممارستهم للموسيقى "الذي ارتبط بالشعر الشعبي الملحون ارتباطا عضويا حيث كان بعض شعراء الملحون متخصصين في مدح بعض الأولياء من الأقطاب أو

[1]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص366.

[2]- سعيد جاب الخير ،العلاقة بين التصوف و شعراء الملحون في الجزائر ا لموقع الالكتروني : HTT://WWW .STARTIM.COM

من مؤسسي الطرق الصوفية الكبرى"[1]، ومنه فإن الشعر الشعبي عادة ما يتحول إلى أغان ومدائح ولهذا اختاره شيوخ الصوفية كفن لنشر تعاليمهم الروحية وعلى سبيل المثال الشيخ عبد القادر طبجي مداح سيدي عبد القادر الجيلاني كانت له قصيدة موسومة عبد القادر (يا بوعلام ضاق الحال علي) التي رددها الكثيرون في أغانيهم وكان من شيوخ الصوفية من ينظم هذا الشعر بأنفسهم " كما هي حال الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلوي المستغانمي مؤسس الطريقة العلوية والذي له ديوان شعر مطبوع أغلبه من الملحون، أو الذين كان لهم شعراء ينتسبون إلى طرقهم ويصوغون تعاليمهم شعرا ويمدحونهم كما في حال مولاي إدريس بن دريس شاعر ومداح سيدي محمد بن عيسى الملقب بالشيخ الكامل مؤسس الطريقة العيساوية".[2]

وجاءت أشعار الشعر الشعبي الصوفي مغرقة في التوحيد والعشق الإلهي والمديح النبوي والتوسل إلى الله ونبيه وآل البيت وذكر الأولياء الصالحين وكراماتهم وعن الخمر الإلهية المعنوية إضافة إلى موضوعات أخرى كالرثاء والإعتذار والزهد والوصف والشعر القصصي ، وفي هذا السياق يذكر عبد الله الركيبي " إذا فقد شاعت الموشحات والأزجال الدينية منذ عصور قديمة ولا بد أنه كان لها أثرها في الشعر الملحون أثناء حكم الأتراك للجزائر فانتشرت القصائد الدينية من مديح وتوسل وتقرب إلى الله وابتهال وذكر الأولياء الصالحين ووصف الخمرة الإلهية وما إليها..[3] .

يرى إبراهيم عبد الحافظ أن الشعر الشعبي الصوفي يتحدد وفق معايير ثلاثة هي:

---

[1]- سعيد جاب الخير ،العلاقة بين التصوف و شعراء الملحون في الجزائر ا لموقع الالكتروني : HTT://WWW .STARTIM.COM.

[2] - المرجع نفسه.

[3]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص367.

أ- التزامه الشكل الأدبي الشعبي قالبا للتعبير مثل الموال و الزجل و غيرهما و توسله بالعامية على الرغم من أنه يشيد مع الشعر الصوفي الفصيح.

ب- التزامه التعبير عن وجدان جماعة معينة من الصوفية هم الدراويش (الفقراء) و هم جماعة من أتباع الطرق الصوفية يميلون إلى الجانب العملي و يبتعدون عن الجانب الفلسفي

حتى عندما يعبرون عن الأفكار والتصورات الصوفية المستمدة من تراث الصوفية الشعر الرسمي.

ج- اتخاذه المناسبات الشعبية مجالا للأداء مثل الموالد والليالي و حضرات الساحة أمام أضرحة الأولياء الصالحين ووفقا للمعايير السابقة [1] .

ومن هنا يتضح " أن الأزجال الصوفية و جدت لها بيئة خاصة عاشت فيها، كذلك وجدت الأزجال الغزلية بيئة أخرى خاصة بها: بيئة الأولى جماعة الفقراء الذين خلعوا الدنيا وهاموا في حب الله سائحين مغتربين ينشدون أزجال الششتري، ويغننون فيها بل ويرقصون على ألحانها "[2] ، وفي نفس السياق يضيف ابراهيم حافظ ويقول "نقصد بالشعر الصوفي الشعبي ذلك الذي ينتجه – تأليفا وأداءا و تلقيا – جماعات دراويش الصوفية نتاجا للمعتقدات الصوفية الخاصة بهم وما نتج عنها من طقوس وشعائر ويختص بأداء هذا النوع من الشعر مجموعة من المنشدين المحترفين "[3] .

[1] - ابراهيم حافظ ، الإبداع و آليات التجديد في الشعر الصوفي الشعبي، الموقع الإلكتروني،HTT://www.folkculturebh.gor

[2] ينظر عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص367.

[3] – المرجع السابق، الموقع الإلكتروني، HTT://www.folkculturebh.gor .

و من كل هذا نستنتج أن الشعر الشعبي كان الوسيلة الناجعة التي ساهمت في تحريك الخطاب الديني في المجتمع ، وما يعرف حاليا بالغناء الشعبي الجزائري ليس إلا امتداد للشعر الشعبي الصوفي " حيث أن مدرسة الشعبي ما هي إلا امتداد لظاهرة المداح المنطلقة أساسا من الفضاءات الصوفية المتمثلة في الزوايا " [1] .

وفي ما يخص قصائد الشعر الشعبي فإنها لا تعبر عن الجانب الأدبي بقدر ما تعبر عن جانب روحي هدفه بلوغ درجة قريبة من الله ، " وهذا أمر هو في الواقع فوق طاقة الصوفية، لأنهم لايملكون القدرة حتى على اختيار ألفاظهم أو التحري في نحتها وتدقيقها في الوقت الذي يكونون مأسورين داخل حالة الشهود الإلهي"[2].

والشعر الشعبي الجزائري زاخر بالأسماء اللامعة في عالم التصوف و نذكر من فحوله على سبيل المثال لا الحصر، **الأكحل (الأخضر) بن خلوف** الذي اتخذناه كنموذج في بحثنا، و**أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي، محمد بن مسايب** ، وغيرهم من الشعراء.

6- أغراض الشعر الشعبي:

أولا- المديح النبوي:

يعد المديح النبوي من بين أغراض الشعر الشعبي، فالشاعر يمدح الرسول صلى الله عليه

[1] **سعيد جاب الخير ، العلاقة بين التصوف و شعراء الملحون في الجزائر الموقع الالكتروني** : HTT://WWW .STARTIM.COM.

2- المرجع نفسه.

وسلم وذلك بذكر محامد صفاته وأخلاقه ومولده و التقرب منه والثناء عليه وذكر سيرته واعتبارها قدوة يقتدي بها الشعراء المتدينين "والاتجاه إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى في التعبير عن حبه و التقرب إليه أو وصف مواقفه و سيرته التي هي المثل الأعلى للشاعر المتدين"[1]، يقول بن مسايب في مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة تحت عنوان " بدر الدجى عساس":

حُبِيَ منْ نَهْوَاهْ بْدَرْ اَلَبْدُورْ

سَبْحَانْ مَنْ عْلاَهْ فَاقْ كُلْ نُورْ

عَزّو اَلكْرِيمْ وَ عْطَاهْ زْهُورْ الْصَدُورْ

مَنُو زْهَاتْ النّاسْ قَطْبْ الْفَلاَحْ

يَحْلَىْ اْلعُودْ وَ اْلكَاسْ بِينْ الْمَلاَحْ

زَهْوِي وْ عَشْقِي فِيهْ سِيدْ الْبَشَرْ[2]

ونجد قصيدة أخري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم موسومة الحرم يا رسول الله يقول فيها بن مسايب:

الْصْلاَةْ عْلَى الرْسُولْ الْهَادِي عِينْ الَوْجُودْ مُحَمَدِي

تَاجْ الرْسُلْ سِيدْ سْيَادِي سِيدِي وْسِيدْ خَلْقْ اللَهْ

1– عبد الله الركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص382.

2– ينظر: بخوشة محمد، كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ،دار ابن خلدون ،2004 ، صص 70–71.

مَدَاحْ نَمْدَحَكْ بَنْشَادِي حَتىَ نْصِيرْ نَلْقَى اللَه[1]

كما يعمد شعراء الشعر الشعبي الديني إلى ذكر ومدح صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء وتبيان المكانة ويوغل في وصف مزاياهم ومكانتهم في الحياة الدنيا والآخرة وكذلك ذكر جهادهم وبسالتهم في مقاومة الكفر والجاهلية ونشر مبادئ الإسلام **الحنيف يقول** الشاعر :

بُوبَكَرْ وَعْمَرْ بِأَفْعَالِهْ،هَمْ قَايْمِينْ عَثْمَانْ وَعْلِي يُوسَفْ الْتِيَارْ

بَاعُوا أَنْفُوسْهُمْ بِالْجَنَةْ مَتْمَتْعِينْ وَشْرُوا قْصُورْ سَعْدْ فِيْ ذِيكْ الْدّارْ[2]

كما وصف الشعر الشعبي الجزائري آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر المكانة المرموقة التي يعتليها أهل بيت الرسول لدى المسلمين وذكر فضائلهم و مزاياهم وأحزانهم مصائبهم و صبرهم وكان الشعراء كثيرا ما يمدحون " فاطمة الزهراء" ابنةالرسول عليه الصلاة و السلام، فهي تمثل في ذهن العامة رمز للمرأة العفيفة الطاهرة الجميلة و المؤمنة ، أم الحسن و الحسين واللذان كانا لهما الحظ الوفير في هذا الشعر أيضا.

يقول محمد بن قيطون في وصف ومدح فاطمة رضي الله عنها:

اَسْمْ اللَهْ جَبْتْ الْقُولْ الْجْدِيدْ عْلَى الْمَقْدُودةْ بَنْتْ الْطَاهَرْ الْرَسَولْ الْزَهْرَاجَاتْنِي كُودَا[3]

ويقول كذلك:

---

[1]- ينظر: بخوشة محمد، كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ،دار ابن خلدون ، ص91.

[2]– ينظر: عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، صص390–391.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 426.

فَاطِيمَا يَا شْبَّاحْ ٱلعَيدْ جَبْتْ عْلِيكْ قُولْ جْدِيدْ[1]

كما لم ينسى شعراء هذا الاتجاه بذكر الأماكن المقدسة وذلك " أن شخصية الرسول (ص) ورسالته هما محور معظم القصائد التي تعرضنا لها، ولا شك أن الحديث عن الأماكن المقدسة والتشوق إليها يعتمد على شخصيته و رسالته، فحب هذه الأماكن و الشوق إليها

حب للرسول (ًص) والدين الذي ظهر فيها وشع من أرجائها بأن مكة مهبط الوحي والمدينة حمى هذا الوحي" [2] فيذكر بن قيطون :

مَنْ طِيبَةْ هَبْ رِيحْ الْأَمْجَدْ عَنْ الْأَحْبَابْ زَادْ رِيحْ الصْبَا عْلَى بَابْ الْكَعْبَةْ [3]

لقد كان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة تجلت من خلال القصائد الشعرية الشعبية الدينية (الصوفية) فلم يترك شعراؤها أي موضوع متعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم إلا وذكره ووصفه ومدحه وأثنى عليه " فما من شاعر من شعراء الملحون إلا ومدح على الرسول وتحدث عنه، قلة أو كثرة، ضعفا أو قوة "[4]

ثانيا– الرثاء:

[1]- ينظر: عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص 426.

[2] – المرجع نفسه، ص 430.

[3]– ينظر : المرجع نفسه ، ص 430.

[4]– المرجع نفسه، ص 420.

يتميز الشعر الشعبي أيضا بهذا الغرض، فتنظم قصائد من الرثاء عند موت أشخاص جد قريبين من الشعراء الذين " لا يملكون إلا أن يرثوه و يتفجعون عليه بشعر يقطر أسى ممضا ودموعا حارة "[1] وهذا الفقدان وهذا المصاب الجلل يترك بصمة من الحزن والأسى في نفسية الشاعر والذي بدوره يعكس هذه الحسرة في قصائد شعرية تصف مدى لوعة الفراق الذي يعيشه " ويكثر رثاء الأهل الأقربين كالوالدين والزوجة و الأولاد ورثاء الأصحاب ذوي العلاقة الحميمية و رثاء أهل العلم والفضل كالقضاة والأساتذة الكبار"[2]، والرثاء يصدر عن شاعر أحس حقا بمرارة الفراق ولدغه كما يكون ذا خبرة واسعة ومؤهلات كافية،فهذين العنصرين يخلقان " صوت الرجل الحكيم الذي يتمثل العبرة المحسةفي حقيقة الموت ويربط في ذلك بين الماضي والحاضر ربما لم يكن في هذاالإتجاه الشعري شيء من تصوير التأثر الذاتي للحادثة مباشرة وإنما فيه أسى عميق على العظماء"[3] ، كما يتضمن الرثاء على الرسول صلى الله عليه وسلم و على آل بيته فوردت هناك قصائد في رثاء الرسول عليه الصلاة والسلام كقول الشاعر " ما أعظم ذلك النهار:

مَاْ أَعْظَمْ ذَلَكْ الْنْهَارْ مَا أَكْبَرْهَا صِيحَةْ يُومْ اَخْرَجْ ْالرَسُولْ مَنْ بِينْ اَصْحَابُو ا

بَجْفَانْ اَمْقَلْبَهْ بِالدَّمْعَةْ طَابُوْ يـَا مَنْ اَيـْدوُرْ لَـحْيـَا مَنْ بَـعْدُو[4]

[1]– إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، ط1 بيروت، 1413 هـ –1992م، ص11.

[2]– محمد رمضان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق ط1، سورية ،2000 م ، ص140.

[3]– عباس إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي ، ص119.

[4]– ينظر:عاشورسرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص24.

الرثاء في الشعر الشعبي الديني يعبر عن فاجعة ألمت بالشاعر فيعبر عنها بقصيدة يصف فيها ألمه و أساه ولوعة فراقه، لكن في الأخير يتقبل الأمر كونه مقدر من الله عزوجلّ فما عليه إلا الرضوخ لهذا الأمر الجلل، فالشاعر الديني تصبغ بتعاليم الإسلام التي تنص على أن مآل الإنسان الفناء.

ثالثا– التوسل:

ويسمى كذلك الرجاء وهي من الأغراض التي يتميز بها الشعر الشعبي ونقصد بالرجاء " ارتياح القلب لانتظاره ما هو محبوب عنده، إن شئت قلت الطمع في ما عند الله بشرط العمل في سبيل الوصول إليه ولذا قال في الحكم:الرجاء ما قارنه عمل وإلا فأمنية "[1]، ومنه فإن الرجاء هو ملجأ الإنسان لما تكثر ذنوبه أولما سيتعصي عليه أمر يتوسل إلى الله تعالى طامعا في رحمته راجيا شفاعته فيقول سبحانه و تعالى : {**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**} الآية 53 من سورة الزمر. ويعرف الرجاء أبو حامد الغزالي " الرجاء يضاده اليأس و اليأس يمنع من التعهد فمن عرف أن الأرض سبحة و الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها ، و الرجاء محمود لأنه باعث واليأس مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل ".[2] فجاء الشعر الشعبي يحمل في قصائده توسلا إلى الله سبحانه و تعالى لنيل المغفرة وابتغاء مرضاته، ويعترف الشاعر بوحدانية الله سبحانه وتعالى وعظمته كما يطلب الرأفة في الحياة الدنيا والآخرة ، وذلك بما ينعم عليه من غفران لذنوبه

[1]– محمد عبد العزيز سيدي أعمر ،كتاب مفتاح العلوم بحل ثلاثة من أنواع الفهوم ،التوحيد و الفقه والتصوف،المطبعة العربية غرداية،الجزائر ، دط،1998م ،ج2 ص191.

[2]– حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة الوكيل الدروبي ، دمشق، سورية ، درويسيه، دط، ص125.

ومعاصيه فيوكل إليه أمره فسبحانه الوكيل و الكفيل بها والتخفيف عن أثقالها وهذه الميزة –التوسل– كانت بصورة كثيفة وملفتة في الشعر الشعبي الديني " ويبدوا أن هذا راجع إلى أن البيئة عندما يسود الظلم أو يخيم عليها الظلام يشعر فيها الفرد بطغيان الإنسان وجبروته وتسلطه على الضعفاء...فإن الشاعر يتجه إلى الرسول (ص)أو الله مبتهلا أو داعيا"[1].

إضافة إلى التوسل بالله فإن الشاعر الشعبي الديني (الصوفي) يتوسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى الأولياء الصالحين لكن كما يرد أن الشعراء يفهمون مسألة التوسل " وأن التوسل ليس واردا في باب الاعتقاد بانفراد الأنبياء أو الأولياء بالقدرة أو القوة من دون الله تعالى بل هو وارد من باب أن الله تعالى يكرم أنبياءه وأولياءه وخاصته باستجابة دعاء من يتوسل بجاههم " [2]، ويكون التوسل بالدعاء بهذا المعنى " اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو بجاه وليك الصالح فلان "[3]، وليس يا رسول الله أسألك أن تقضي لي أمرا.يقول الشاعر سيدي محمد بن المبروك* في موضوع التوسل:

ٱللَّهْ ٱلَلهْ يَالدَايَمْ يَاعَالَمْ كُلْ عِلْمْ شُوفْ مَادَا وَاسِيتْ مَنْ جْرَايَمْ تَغْفَرْ ذَنْبِيْ بْلَا كْلُوفْ[4]

أما بن مسايب يذكر في هذا الشأن:

مَنْ يَتْوَسَلْ بِالَأَنْبَيَاءْ وَ الْرُسَلْ مْعَ الْأَوَلِيَا

[1]– عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 420.

[2]– سعيد جاب الخير،العلاقة بين التصوف و شعراء الملحون في الجزائر الموقع الالكتروني : HTT://WWW .STARTIM.COM

[3] – المرجع نفسه.

[4]– عاشور سرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص89.

حَاجْتُهْ يْبَشَرْ مَقْضَيَةْ اِذَا عْمَلْهَاْ حَقَهْ يَرْضُوهْ

مَنْ يَتْوَسَلْ بِهُمْ يْنَالْ فْرَحْ وَهْنَا حَتَى الْوْصَال[1]

رابعا– الزهـد:

سبق لنا وأن تطرقنا لمفهوم الزهد في بحثنا فكما ذكرنا هو الابتعاد عن ملذات الدنيا والعزوف عن شهواتها بغية الآخرة ونعيمها ،وإن صح القول فإنه يأتي مباشرة بعد التوسل

والرجاء، فلكلامها هدف واحد يتمثل في مرضاة الله عزوجل والفوز بجنته والابتعاد عن كل مايحول بين كل هذا.

فوصف الشعر الشعبي الديني(الصوفي) الجزائري زهد الشعراء في الحياة الدنيا واعترافهم بتقصيرهم تجاه الله تعالى وذلك في إخفاق ونقص في تأديتهم للواجبات الدينية كما يصف مصير الإنسان الذي هو الفناء فلا يدوم فيها إلا سبحانه وتعالى، كما يتضمن الدعوة إلى العزوف عن مغريات الدنيا الزائلة فنجده يضرب الأمثلة عن الأقوام الماضية والأنبياء والرسل وغيرهم من الذين لم يخلد غير اسمهم ومادام أن الحياة فانية فلماذا السعي وراءها فهي لا تورث غير التعب و الشقاء، يقول الشاعر عبد الحق القاضي:

مَايْدُومْ غَيرْ الْدَايَمْ كُلْ مَا عْلِيهَا فَانِي سَبْحَانْ مَنْ لَا يْزُولْ مَا اَيْمَلْ مَاْ يَنْسَانِي[2]

[1]– ينظر: محمد بخوشة ، كتاب الحب و المحبوب ، ص 109.

[2]– عاشورسرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص34.

خامسا– ذكر الأولياء الصالحين:

نعني بالأولياء الصالحين أولئك الرجال الذين تبوؤا مكانة عظيمة في المجتمع و ذلك من خلال أعمالهم الصالحة وتقواهم و مساهمتهم في خدمة رسالة الله ونشرها مكابدين كل المشاق الصعبة في تحقيق ذلك فترسخ صلاح الأولياء في ذاكرة العامة،فشيد شعراء هؤلاء وتغنوا بهم و بمناقبهم وجهادهم ومثال على ذلك قصيدة بن مسايب التي عنونها "أبوعلام" مخاطبا سيدي عبد القادر الجيلاني* يقول فيها:

سَاعْدِي حَتىَ نْرَاكْ نْضَحِي فَرْحَانْ وَزَاهَرْ

قَادَرْ رَافَعْ الْأَفْلاَكْ يَغْفَرْ حَتَىْ لِلَكَافرْ

يَاسَلْطَانْالْأَوْلَيَا خِبرَكْ شَايَعْ مَذْكُورْ[1]

سادسا– الوصف:

يرد الوصف غالبا في القصيدة الشعبية الدينية فتلد هذه الأخيرة بمجرد أن تترك الصورة التي أمام الشاعر انفعالا في وجدانه وأحاسيسه نتيجة تأثره في تلك الصورة التي تحوي على منظر طبيعي أو ظاهرة معينة تترك أثرا في ذاكرته كما " أن الأديب لا يغصب نفسه على التأثر والإنفعال بالبيئة

---

* **عبد القدر الجيلاني:هو أبو عبد القادر بن موسى بن عبدالله إمام صوفي وفقيه حنبلي تنتسب إليه الطريقة القادرية.**

[1] **– بخوشة محمد، كتاب الحب و المحبوب ، ص 106.**

والعصر، وإنما أشياء المصير تؤثربه في غفلة عنه ثم لا تظهر بجلاء إلا عن إرادته وتختزن في ذاكرته المهملة "[1] .

وقد يأتي الوصف في نماذج مختلفة كوصف الزمان أو الدهر أو وصف أحداث أو رحلة وعادة ما تكون إلى أرض البقيع، أو وصف الجنة و النار و القبر وله الأغلبية في النظم نظرا لحالة التصوف التي يعيشها الشعراء، تقول الشاعرة نانا عائشة في وصف النار:

كَحْلاَ سُودَا خَانْزَا تَعْمِي لَبْصَارْ أَوْ تَرْهَبْ لَعْقُولْ مَا تَعْطِي فَتْرَا

وَاتْطِيبْ الأَجْسَادْ بِالصَهْدْ وَلْفَارْ يَامْكَحَلْ دُخَانْهَا لِيهْ أَمْرِيرْ

الَعَذَابْ اَيْصَبْ فَيهَا كَيْ الأَمْطَارْ وْالَزْفِيرْ أَعْلَى يْمِينْ أُوْ يَسْرَا[2]

سابعا– الشعر القصصي:

نقصد بالشعر القصصي ذلك الشعر الذي يروي قصة أو حكاية دينية وقعت في زمن ما ولشخص ما وما يميز هذه القصص أنها تكتب شعرا وليس نثرا كما أنها تحمل فائدة في ما يتعلق ببعض المسائل الدينية ، ومنه فإن الشعر الشعبي الديني هو المناخ المناسب الذي يلاءم هذا النوع من القصص، وذلك لما تحمله هذه القصص من روايات للأبطال وشخصيات دينية يقوم بترسيخها في أذهان العامة ويحفظها من الزوال والاندثار وتوريثها للأجيال الصاعدة " وقد تأخذ هذه القصص

[1]– إيليا الحاوي ، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي دار الكتاب اللبناني ،(بيروت ، لبنان) دار الكتاب المصري القاهرة، دت، ص196.

[2] –ينظر : عاشور سرقمة ،الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص48.

الشعرية بعض مما تتسم به القصة في النثر من تسلسل أحداث و شخصيات وزمان ومكان وعقدة وحل وغيرها وقد تكون هذه القصة من إبداع مخيلة وقريحة الشاعر نفسه وقد تكون مما يروي في المخيال الشعبي أو وجدها في كتاب معين وارتأى إعادة طرحها من جديد تتداولها الألسن وتتفكر في حيثياتها فتأخذ منها فائدة عظيمة خاصة في أمور الدين لإصلاح أحوال الناس "[1]

يقول الشاعر في قصيدة(الله يا جمع المومنين)

الله ياجْمِعِ الْمُوْمْنِيْنْ صَلُوْ عْلَى بُوفَاطْمَةُ

يَا لَجْوَادْ اللِيْ حَاضْرِيْنْ صَلُوْ عْلَى الْحُسَيْنْ

هَذِيْ قَصَةُ بَحْدِيْثْهَا فِيْ كْتَابْ كْبِيرْ لْقِيْتَهَا

وَابْنْ عَاشْر حْصِيتْهَا وَابْنْ عَبَاسْ أَعْلَى مَا بْمِيْنْ

قَصَةُ أَعْبِيْدَ فِيْ خَلْوْتُوْ يَعْبَدْ مُوْلاَه بْنَيْتُوْ

جَاهْ الشِيْطَانْ يفْلتُو صَابُو مَتْوَحَدْ بَالْيَقِيْنْ

جَابْ لِيْه أَعْظَمْ مَنْ الْقْبَرْ لاَحُوْ في حْجَرْ و بَالْقْدَر[2]

[1] – عاشور سرقمة ، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص50.

[2] – المرجع نفسه ، صص50–51.

تدور أحداث هذه القصة حول رجل كان يعبد ربه في خلوته فوسوس له الشيطان، لكن العبد طرده والشيطان بدوره أراد أن يبتلي هذا العبد فرمى له عظما وطلب منه أن يطلب ربه أن يحي له هذا ثم استقام له ذلك العظم و نبت شجرة.

ثم يواصل الشاعر القصة و يقول :

قْلَعْتْ وَرْقَةْ وَكْلاَتْهَا ثُمَ بَلْعَتْ في أَرْحَامْهَا

حَمْلَتْ بَالصَبَيْ مَنْهَا كَانَ سَابَقْ لِيْهَا فَالْحِيْنْ

ثَلْثْ أَيَامْ بَانَتْ كَرْشْهَا أَنِيْس رِيْقَهَا مْعَ عِيْشْهَا

عَادَتْ مَتْلَجَمْ فَمْهَا بِهَا رَاحُوْ الْمَتْوحْمِيْنْ[1]

في يوم من الأيام جاءت البنات لزيارة الولي الخميس والجمعة، فأكلت بنت من ورق هذه الشجرة فوجدت مذاقها حلو عكس البنات الأخريات أين وجدناه مرٌ ثم بقدرة الله حلمت الفتاة بعد ثلاث أيام ولم تعد تستطيع الكلام خوفا من العار، ثم يضيف الشاعر كذلك :

نَطْقُو الْعُلْمَا كُلْهُمْ قَالُوا تَتَرْجَـمْ فِيْ قْولْـــهَمْ

بْرَحُو فِيْ مَصِرْ كُلْهُمْ لِلْي حَاضْرْ رَانِيْ حْزِيْنْ

[1]– عاشور سرقمة ، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ،صص51–52.

جِيْبُوا ذَا الطَفْلَةُ بَالغْرَمْ حَطُوهَا بِبَابْ الرْجَمْ

اللّي في بْطَنْهَا وَاْش دَارْ مَا هَو عَاصِي مَاخَانْ جَارْ

دَرْتُو فِيْهَا شِيْمَا لعَارْ وَأَنْتُمْومَا عَنْـهَا غَافْلِيـنْ

طَلْقُوا ذَا الطَفْلَةُ لَدَارْهَا حَتَى تَبْلَغْ مَقْدَارْهـَا[1]

بعد حكم العلماء على الفتاة بالرجم حتى الموت، أنقذها صبي من بين الحضور وأخبرهم بأن لا ذنب لها بما حصل لها، فتركوها و شأنها و عادت إلى المنزل.

7- اللغة الشعرية في القصيدة الشعبية الصوفية:

كانت اللغة و مازلت أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم ، لما تمتاز به من اليسر والوضوح والدقة الدلالة، لذلك فهي تؤدي لكل من الفرد والمجتمع عددا من الوظائف المهمة في جميع شؤون حياته، فهي نظام من الرموز المنطوقة المكتسبة تستخدمه جماعة معينة لتعبير على أغراضهم فهي ألفاظ تحمل دلالات و معاني .

واللغة حية مادام الإنسان موجود على وجه الأرض، فهي تتطور بتطور البشرية، حيث عرفت مراحل و تحولات. "اللغة عرفت اهتمام كبير من طرف البشرية كونها مصدر تواصل بينهم، ومن بين

[1]- ينظر: عاشور سرقمة ، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ، ص52.

اللغات نجد اللغة العربية فهي كغيرها من اللغات عرفت تحولات وتطور عبرا لعصور، فهي انتقلت في الربع الأول لهذا القرن نقلة عملاقة إلى التعبير

العصري السهل و هذه النقلة هي التي مهدت لخطوات أخرى عقبتها،ومنها ميل بعض الشعراء والكتاب إلى اللغة العامية في أعمالهم الأدبية"[1]، وبهذا يكون التطور هو تعدى اللغة العربية الفصيحة والأدب الرسمي إلى اللغة العامية والأدب الشعبي، وهذا للأجل تسهيل عملية التواصل مع عامة الناس ومشاركتهم المشاعر والأحاسيس.

فالخطاب الشعري الشعبي الديني على الرغم أنه لا يقوم على قواعد لغوية، إلا انه يملك ويحمل جماليات لغوية و أسلوبية عديدة تختبئ وراء بنيته وملفوظات ذلك الأداء المميز وهنا سنحاول كشف تلك الآليات اللغوية والأسلوبية التي استطاع الشاعر الصوفي أن يرسل خطابه ويجذب المتلقي ويحس ويعيش تلك الموضوعات الوجدانية وعمق التجربة وحقيقة مشاعر الشاعر، ولم يصل الشاعر إلى ذلك إلا من خلال توظيف التقنيات البلاغية و الصور البيانية .

يوجد بعض الاختلافات بين القصيدة الشعبية والفصحى، وهذا على مستوى الشكل، وهي تعتبر من مميزات القصيدة الشعبية.

1- الألفاظ والعبارات

[1]- محمد ذهني، الشعر الشعبي العربي، مطبوعات جامعة القاهرة، مصر،1972 ، ص81.

أول ما نتطرق إليه هو تلك الألفاظ العامية التي وظفها الشعراء الصوفيين في قصائدهم ومثال عن ذلك قصيدة "المنداسي "في مدح الرسول (ص).

يَاْ اَمَنْ اَلْرُوْعْ فْلاَلْي حَيْلَهْ يَوْمْ لاْ تَغْنِيْ عَنْ الْمرْوْ اَلْحَيّلْ

يَاحْبِيْبْ الله خَضىْ فَي اَلْرْضْى إنْ لِيْ بَالْبَابْ نَحَبْ وَ حَفَيلْ

فَانْتَظَرْ إنْ ذْنُوبِي كَثْرَتْ وْقُلْ عَزْمِ بَالْخْطَايَا وْ الْكَسَلْ

مَا لْذْنُوبِي عَنْ تَجَلِيْ فَضْلْكُمْ يَارْسُولْ الله لَعْبَدْ حَصَلْ

صَلِ يَارَبْي عْلَى مَنْ بَاسْمُه يَقْبَلْ الله مَنْ الْعْبَدْ الَعْمَلْ[1]

و يقول "ابن معطار" في أواخر إحدى قصائده، في مدح الرسول(ص)

صَلْى الله عْلْيْكْ قْدَرْمَاْ تَرْضَاْه قَدْرْ اَلْرَمْالَ وَالْحْجَرْ هَي وْالأَشْجَارْ

قَدْرْ الأَرْضْ وْقَدْمَاخْلَقْ الله نَاطَقْ وْالـجَامَـدْ وْمَيَاهْ الْابْـحَـارْ

قَدْرْ النْبَاتْ مَانْبَتْ بَالْمَا وْحَيَاهَ الصَامَطْ وْالْبَنِينْ وَاَللْي هو يَمْرَارْ

قَدْرْ اْللِي لَيهْ رُوحْ سَاكْنة فَي أَرْضْا لله زَحَـافْ وْمَاشِـي وْمْرّادْ وْطْيّارْ

قَدْرْ الأَنْسْ وْجَنْ وْمَلاَيْكَة الله وْمَايَنْزَلْ في السْحَابْ مَنْصَبْ الأَمْطَارْ

[1] أحمد قنشوبة، البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية في منطقة شمال الصحراء نموذجا1850–1950م، مخطوط أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر،2007 ص249.

قَدْرْ اسْمَا مْعَا لنْجُومْ وْعَرْشْ مْعَاهْ وْالكْرَاسِي مَاحَويْ مْعَ الْجَنَة وَالنَارْ

ذْي الصْلاَة عْليك يَانْبِي الله صْلاَة تْكُونْ كَامْلَة تَمْحِي الأوْزَارْ[1]

يتبين لنا أن الشاعر الشعبي يمتلك رصيدا لغويا، يمكن أن يتسع أو يضيق، وهذا حسب درجته العلمية والمعرفية، لكن نجده يمتلك ميزة السيطرة على الألفاظ و كيفية استخدامها، لقد تطرقنا في البداية إلى إحصاء بعض الحروف التي لا نجد لها تغيرات بين العامية والفصحى، مثل(ياء النداء والواو العطف)، ومن الألفاظ العامية نجد:

لَعْبَدْ :الإنسان ، **فْلاَلي** : يرفرف ، **لما** : الماء

لِيْه : له ، **ذِي** :هذه ، **الصَامَطْ**: الرديء ، **لَسْمَاْ**: السماء

و نلاحظ أنه لا توجد في قاموس الشاعرين أي كلمة أجنبية في هاذين المثالين، كما توجد الألفاظ الفصيحة أكثر من الألفاظ العامية، هذا دليل على امتلاك الشاعرين قدراً من العلم والمعرفة

1– **النداء**: من المعروف في أساليب اللغة العربية الفصحى أنه لا يصح منداة المعروف ب(ال)مباشرة بأدوات النداء، بينما نتواصل إلى ذلك بأدوات النداء (أيها) (أيتها) أو اسم الإشارة لكن في الشعر الشعبي نجد: الأخضر بن خلوف يقول:

صَلِي الله عْلِيكْ يَا النَبِي الْعَرْبِي يَاسَرَاجْ الدْهَرْ اَحْمَدْ الاَمِيْنْ[2]

[1]– أحمد قنشوبة، البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية في منطقة شمال الصحراء ،2007 م–2008م، ص247.

[2]– عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر،2012، ص77.

هنا الشاعر أخلاً بقواعد اللغة حيث تم النداء على المعرف ب (ال).**يالنبيي**.

2- التقاء السكينين: ظاهرة التقاء الساكنين ظاهرة منتشرة لدى معظم الشعراء، لكن في العربية الفصحى هذا غير جائز، ومثال عن ذلك أبيات من قصيدة "بن مسايب" في رثاء الرسول(ص) يقول:

خاَلَقْ اَدَمْ وْ خَالَقْ اْلمُوتْ في حْتِكَامْ مَالَكْ الْمُلْكْ الْحَيْ الدَايَمْ الْحْنِيْنْ

يُوْمْ تْوَفَى سَيْدْ الْخَـلْقْ بْالْتْمَـامْ مْصَبَرْ حَدْ عْلَى صْدِيْقْ لْلْمِيْنْ[1]

3- إسقاط الهمزة :يتم إسقاط الهمزة من طرف الشعراء، وذلك تهرّبا من نطقها لأنها صعبة النطق ويظهر ذلك عند إلقاء الشعر لأشعارهم.

4- إسقاط بعض الحروف: إن اللغة العامية وجدت من أجل تسهيل عملية النطق، وقد تما حذف بعض الحروف من اللغة الفصيحة، وهذا ما ذهب إليه الشعراء أيضا و قال"ابن مسايب":

طَلْ الضَر وْ لْالِي طْبِيْبْ نَتْوَحَشْ خْيَلْ اَلحْبِيْبْ

بَاقِي هَايَمْ وَحْدِي غْرِيْبْ مَا لِيْ شِئ لَيَاْ[2]

[1]- عبد اللطيف حني، البنية الأسلوبية في الخطاب الشعري الشعبي، ديوان بن مسايب نموذجا ، ص275.

[2]- المرجع نفسه، ص72.

حيث حذف الشاعر حرف الألف من كلمة الضرر، وحذف الهمزة من كلمة هائم، فيمكن القول أن الشاعر قام بحذف بعض الحروف لثقلها عند النطق.

5-**زيادة بعض الحروف**: إن اللهجة العامية تعرف تناقضات عديدة، فهي لم ترسي على قواعد ونظام ثابت، فكما وجدنا حذف بعض الحروف، نجد إضافة حروف أخرى .

لَوْ صَبْتْ نَمْشِيْ لِهْ زَيَارْ لْعَنْدُه اَتْزُولْ احْزَانِي

لَوْ جَرْبْتْ مْعَ الرْجالاْ نْشُوفْ لَحْبِيْبْ مَنْ وَلَانِي[1]

قد تم إضافة حرف ألف المد إلى كلمة **الرجال** وحرف اللام في كلمة **عنده** .

6- القلب:هو قلب حرف إلى حرف آخر لتسهيل عملية النطق، يقول معمر بن صالح:

بَاسْمْ الله الْعَظِيْمْ جَلْ اَجْلاْلُى لَيْسْ اَشْبِيْهْ في مَلْكُه وَاحَدْ

قَادَرْ، فَاعَلْ مْرِيْدْ امْسَالِى رَافَعْ سَبْعْ اطْبَاقْ مَنْ غِيْرْ عْمَدْ

جَاعَلْ فِيْهَا ابْرُوجْ هَكْذَا قَالِي تَجْرِي عَنْهَا افْلَاْكْ دَايَمْ لَلْأَبَدْ[2]

الشاعر قام بقلب الهاء في آخر كلمة **اجلالي** إلى ياء، كما قام بقلب حرف الألف المِدْ في كلمة **أبروج** إلى حرف الواو.

[1]- المرجع نفسه ، ص72.

[2]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث،ص502.

7- تسكين الفعل المضارع:من المعروف أن الفعل المضارع يأتي مرفوعًا إذ لم تدخل عليه

حروف الجزم والنصب، لكن في الشعر الشعبي عموما نجد غير ذلك، مثال عن ذلك في بيت "معمر بن صالح:

اَسْمْ اَلْإِلَهْ هَوَ زَادِيْ لِيْ اعْوِينْ نَقْطَعْ اَبْحُوْرْ بِهَا نَسْلَكْ مَرْتَاحَ[1]

قد تم تسكين الفعلين:نَقْطَعْ ونَسْلَك.

2- الأساليب و الصور البلاغية:

2-1- الأساليب الإنشائية:

أ- النداء:النداء في معظم قصائد الشعر الصوفي عموما والشعبي منه، يحمل أغراض غير النداء منها: الدعاء التوسل، ومن النداء في بعض الأمثلة السابقة التي تطرقنا إليها نجد:

ياربي، يارسول الله، ياحبيب الله، يا سراج...

ب-النفي: هو من الأساليب الواسعة الاستعمال في هذا النوع من الشعر فنجد منها:

لا تغني، ماليشئ...

ج- النهي: هو من الأساليب الإنشائية التي ينصح بها على الكف من فعل ما.

[1]- المرجع نفسه ،ص506.

د–الأمر: وهو عكس النهي بحيث يجب القيام بذلك الفعل مثال عن ذلك :

شَيَدْ الْبَنْيَانْ وْ الاسْوَارْ اَعْمَلْ الْعَسَة تَخْضَيَهَ[1]

والأمر في **شيد**.

2–2–الصور البلاغية:

أ– **صيغ المبالغة:** ومنها فاعل، التي تدل على العظمة، والتكثير في القيام بشيء، مثال عن ذلك في قصيدة **معمر بن صالح** التي تطرقنا ليها سابقا ونجد في البيتين الآخرين:

قَادَرْ، فَاعَلْ مْرِيْدْ امْسَالِى رَافَعْ سَبْعْ اطْبَاقْ مَنْ غِيْرْ عْمَدْ

جَاعَلْ فِيْهَا ابْرُوجْ هَكْذَا قَالِي تَجْرِي عَنْهَا افْلَاكْ دَايَمْ لَلْأَبَدْ[2]

وصيغ المبالغة في: قادر، فاعل، رافع ، وجاعل .

ب– الكناية:هي من الصور البيانية التي تحمل الخيال مما يضفي على القصيدة جوا شاعريًا ينبض بالإحساس ونجد ذلك في قول **ابن مسايب:**

الشْمَعْ في الْحَسْكَاتْ يْذُوبْ دَمَعتُه تَطْفَاحْ[3]

[1]- عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص281.

[2]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص502.

[3]– عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص281.

حيث صور لنا الشاعر في هذا البيت حالة الشمع وهو في لحظة ذوبان، كأنه إنسان له دموع تسيل من فرقة الأحباب، والشمع لا يملك دموع بل معنى الشمع هي تلك الحرقة التي يشعر بها الإنسان لابتعاده عن الأحباب.

ج- الاستعارة:

يقول ابن التريكي في قصيدة "**دمعي سكيب**"

دَمْعِي سْكِيْبْ وَالنَارْ فْالْكْبَادْي

يَاشَمْسْ الْمَغِيْبْ سَلّمْ عْلَى الْهَادِي[1]

الشاعر هنا شبه الشمس بشخص يوصل السلام فحذف المشبه به الشخص وأبقى على أحد لوازم تبليغ السلام على سبيل الاستعارة المكنية.

3- التوقيع و التأريخ في القصيدة الشعبية الصوفية:

من مميزات الشعر الشعبي أن الشاعر يقوم بذكر بعض المعلومات عن نفسه من الاسم أو اللقب أو موطنه كما يمكن أن يذكر تاريخ نظمه للقصيدة، وهو يعرف بالتوقيع و التأريخ.

- التوقيع: أن يذكر الشاعر شيء معين يمكن من خلاله أن يعرف بأنه صاحب القصيدة . بذكر بلده أو اسمه أو بكني عن اسمه.

[1]- المرجع نفسه، ص71.

– **التأريخ**: أن يذكر الشاعر تاريخ كتابة تلك القصيدة، ومعظم الشعراء الشعبيون قد وقعوا قصائدهم ولو واحدة على الأقل.

ويكون هذا التوقيع عادة في آخر القصيدة و ذلك بذكر اسمه فقط أو لقبه فقط أو ذكره اسمه واسم أبيه معا، يمكن أن نجد أنه ذكر أسماء أجداده ،كما نجد ذكر اسم بلده، والشعراء يوقعون قصائدهم للأسباب منها:

– حتى تبقى القصيدة معروفة القائل ،ما يضفي لشاعر خلود اسمه حتى إن أديت على شكل أغاني من طرف آخرين.

– حين يذكر الشاعر اسمه واسم والده أو قبيلته في التوقيع، يمكن تحديد العرش الذي ينتمي إليه.

– وحين يذكر بلدته فيمكن أن نتعرف على البيئة التي يعيش فيها، والتي تكون قد عرفت به ومميزات وخصائص شعره.

– أما عند ذكر التاريخ فإننا نستطيع بواسطته تحديد الفترة التي عاش فيها الشاعر ولو بالتقريب ومنه نعرف الحيز الزمني الذي برزت فيه موهبته ونمت فيه.

ا– التوقيع بذكر الاسم:

عَوْدْ اَلْنْوَارْ يَاْمَنْ فَاْهَمْ الأَقْوَاْلْ

دُوْنْ اَخْتِيَارْ وْاَبْنْ الَتِرْكِيْ قَالْ[1]

فالشاعر هنا يمدح الرسول الكريم،و يقول عنه "عود النوار" أي غصن من الزهر الفواح بأزكى الروائح الطيبة التي تستمدها من الجنة، كما نجد انه صرح باسمه أي هو قائل هذا الكلام الجميل و الطيب عن رسول الله.

ب- التوقيع بذكر الاسم واسم الوالد:

و نجد مثل ذلك عند الشاعر"سيد أمبارك بن الزروق" في قصيدته "صلي الله على مول الفرقان".

قَوْلْ أَمْبَارَكْ الزَرُوقْ بَالْتَفْنَانْ وَاحْمَدْ بَنْ مْحَمَدْ بَنْ مُوسَى عَالَمْ

حيث ذكر اسمه واسم والده "الزروق"ويذكر اسم الوالي الصالح سيد احمد بن موسى صاحب الزاوية.

ج- التوقيع بذكر الاسم والبلد:

ونجد مثل ذلك عند الشاعر "محمد" والد الشاعر "السني عبد العزيز المهدوي" حيث يقول في قصيدته"الله هَلَلثو يَا عْبَادْ الله"

اَسْمِي اَمْحَمَدْ بْلاَدْ الْقْرَارْ مَهْدْيَا لَوْ دَارْ وَاَيْقُوْلُوْ مْحَمَدْ بَنْ عَمَارْ وَادْعُوْ بَالسْلاَمْا[2]

حيث يذكر الشاعر اسمه والمنطقة التي ينتمي إليها،وأن في مهدية يوجد بيته والناس ينادونه باسم "أمحمد عمار"، وكما يطلب ويرجو الله السلام في الدنيا والأخيرة .

[1]- عبد اللطيف حني، المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري، ص79.

[2]- ينظر عاشور سرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ، ص65.

د– التوقيع بذكر الاسم والبلد

ومثال عن ذلك في قصيدة الشاعر "محمد ولد احمد" التي بعنوان "نَبْدَ اَسْمْ الله مَنْ قَلْبِي وَلْسَانِي" يقول فيها :

يارَبِ تَغْفَرْ لَمْحَمَدْ وَلْدْ اَحْمَدْ يَجْعَلْ سَعِيْدْ وَلْدْ الْيَمانَي

يَارَبِ تَغْفَرْ لِي اوْالوَالْدِيْ مْعَ الْمُسْلِمِيْنْ اوْ نَاظَمْ لَوْزَانِي

يَارَبِ تَغْفَرْ لَمْحَمْدْ وَلْدْ اَحْمَدْ اَبْلاَدْ وتَمَنْطِيْطْ فَي قْصَرْ الْمِيمُونِي[1]

حيث ذكر :اسمه و اسم والده (احمد) وبعد ذلك موطنه بلدته تمنطيط وحددها بتدقيق وهي(قصر الميمون).

هـ–التوقيع بذكر الاسم و التأريخ:

كما عند الشاعر بوعزيز سعيد الملقب "آبا سعيد" و يقول في آخر القصيدة "لَاْ الَهْ إِلُا الله مَنْ قَلْبي وابداني".

كَمَلْتْ ذَا الْقَصِيْدَةُ فْي شْهَرْ ذِي الْقَعْدَةُ يْجِيْنِي يَوْمْ اَغْدا بَالله يَارَحْمَا

عَامْ تَسْعَة أُوسَبْعِيْنْ وَ الأَلْفْ مْعَامِيْنْ ثَلْثَمْيَا بَالْتَفِيْنْ لَلْقْرِبي السَقْرَانِي

بالله انْتَ الوَاحَدْ تَرْحَمْ سَعِيْدْ اَمْجَدْ بَصْلاَةُ عْلَى مُحَمَدْ لَحْبِيْبْ الْمَدْانِي[1]

[1]– المرجع نفسه، ص65.

ذكر الشاعر هنا أنه أكمل قصيدته في تاريخ ذي القعدة عام 1379هـ، كما ذكر في الأخير اسمه سعيد.

8- البناء الموضوعي للقصيدة الدينية عند الشعراء الشعبين:

تنبني القصيدة الشعبية الصوفية، عموما بناء واحد يتكرر لدى جميع الشعراء، وقد لاحظنا أن معظم قصائدهم تستقر على نسق بنائي فيمكن القول أنه يوجد هيكل واحد انبنت عليه مجمل تلك القصائد التي تغنت بجمال تلك الرحلة الروحانية وغزارة المشاعر والحنين إلى الذات الإلهية، وروح الحبيب المصطفى الطاهرة، إلا أن الشاعر قد يضيف إليه لبنة أخرى، كما يمكن أن نجد قد أنقص منها شيئا أو غير في النسق أو الهيكل البنائي الذي وجدناه يتكرر في معظم القصائد، وهذا البناء يتمثل فيما يلي:

أول ما يبدأ به الشاعر في القصيدة هو الصلاة على النبي محمد، ثم يتبع ذلك في الغالب بالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى وبعدها يشرع الشاعر في عرض موضوعه الديني من زهد، أو توسل أو اعتذار أو رثاء أو مدح رسول(ص) وغيرها، وفي الأخير يوقع قصيدته أو يؤرخها أو هما معا، وأغلب الشعراء يختتمون قصائدهم بالصلاة على المصطفى والدعاء لذويه وصحبته، كما يمكن لشاعر أن يقدم إحدى هذه الأبيات أو يؤخرها.

ومثال عن ذلك قصيدة لمعمر بن صالح يبدؤها بذكر الله ثم الصلاة على حبيبه محمد(ص)

[1]- ينظر عاشور سرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات، ص66.

في قوله :

اَسْمْ اَلْإِلَهْ هَوَ زَادِيْ لِيْ اعْوِينْ نَقْطَعْ اَبْحُوْرْ بِهَا نَسْلَكْ مَرْتَاحَ[1]

و بعدها يقوم بعرض موضوعه والتطرق للفكرة الصوفية القائلة أن النور المحمدي خليق قبل خلق الإنسان والكائنات في هذا العالم .

هَوَ رْسُولْ قَبْلَ ادَمْ بْالَفْ سْنِيْنْ فِي عِلْمْ الإِلَهْ كَايَنْ قَبْلْ الأَرْوَاحَ[2]

والشاعر بالغوص والتعمق في خبايا هذه الفكرة وتنقل بين المعاني وفي نهاية القصيدة يعود إلى وصف حبه لرسول(ص) ومدح شيخيه.

9- الموسيقى في القصيدة الشعبية الدينية:

1-الموسيقى الداخلية:

الموسيقى الداخلية هي تلك الأصوات المنبعثة من أعماق الكلمات في القصيدة، حيث نميز بين كلمات بتلك الحروف التي تتمتع بموسيقى خاصة، حيث تجذب الأذان السامع، والشاعر يسعى لاختيار الحروف التي تشكل الإيقاع الذي يقصد إليه.

ونأخذ قصيدة أبن مسيايب في مدح الرسول (ص) يقول فيها :

[1]- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث ، ص507.

[2]- المرجع نفسه، ص508.

حُبِي مَنْ نَهْوَاهْ بَدْرْ ٱلْبدُوْرْ

سَبْحَانْ مَنْ عُلاَهْ فَاقْ كُلْ نُورْ

عَزُه الكْرِيمْ وَعْطَاهْ زَهْوْ الْصُدُوْرْ[1]

نلاحظ في صيغة تلك الأفعال نهواه، علاه، أعطاه، صنعت موسيقى بتكرار حرف الهاءفي نهواه، عره أعطاه، علاه، فهي من الحروف التي تضفي الهدوء والسكينة في نفسية المستمع، وهذا يحيلنا إلى أن الشعراء الشعبيون قد اهتموا بالموسيقى الداخلية لقاصدهم.

2-الموسيقى الداخلية:

اهتم الكثير من الباحثين في دراستهم للأدب الشعبي، بالموسيقى الداخلية لهذا الشعر وذلك في دراسة أوزانه وبحوره ومدى اشتراك خصائصه مع الشعر الفصيح، فنجد الباحث عبد الله الركيبي توصل إلى أن الشعر الشعبي لا يمكن تحديد جميع بحوره، وهذا لتنوعه وكثرته،كما أن اللغة العامية متنوعة وتختلف من مجموعة إلى أخرى "بأنه من الصعب أن نذكر بحورا محدودة لهذا الشعر بسبب كثرته و تنوع قصائده وانتشاره في بيئات متعددة وبلهجات مختلفة، ومن الصعب حصرها إلا بدراسة مستفيضة لكل ما يتصل بهذا الشعر من شتى النواحي."[2]

[1]- بخوشة محمد، كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ، دار ابن خلدون2004 ، صص 70-71.

[2]- عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديثالشعر الديني الصوفي ،ص490.

وإن طبقنا البحور الخليلية على الشعر الشعبي فإن هذه العملية ميؤوس من نتائجها لعدم التزام الشعراء الشعبين بتفعيلات محددة.

فهنا نذهب إلى مذهب إليه محمد فتوح أحمد :" إن الشعر الشعبي لا يعتمد في مقياسه على التفعيلات والبحور الخليلية، وإنما على الإيقاع الذي هو تردد ظاهرة صوتية بما في ذلك الصمت على مسفات زمنية متساوية أو متقاربة."[1]

ومنه فإن الشعر الشعبي لا علاقة له بالأوزان المعروفة بل له إيقاعات خاصة.

.

[1]– ينظر عاشور سرقمة، الشعر الشعبي الديني في منطقة توات ،ص72.

التجربة الشعرية الصوفية عند الشاعر الخضر بن خلوف:

أولا: من حيث المواضيع

بروائع من النظم وبدائع من السبك خلد الشاعر الشعبي "الأخضر بن خلوف إرثا شعريا تراثيا عريقا استطاع الدارسين من خلاله رصد أهم مميزات الحقبة الزمنية التي عاشها الشاعر، ورغم القلة القليلة التي وصلتنا من روائع هذا النظم الشعبي والتي تعود لأسباب عدة من بينها محاولة الاستعمار الفرنسي طمس الهوية الجزائرية وذلك بسد كل ثغرة يشع منها ما يعزز هذه الهوية، إضافة إلى أنّ الإهْمال وعدم الإكتراث بهذا الجنس الأدبي يد في اندثار أغلبيته، إلّا أنّه بقيت آثار الشاعر الشعرية تعبر عن أصالة أسلافنا وعراقتهم.

وما خلده من نظم في الشعر فإنه لم يجمع في ديوان واحد إنما جمعت إحدى وثلاثين قصيدة في ديوان قدم له جمعها الحاج محمد الحاج "الغوثي بخوشة ".

كما جمعت له جمعية أفاق مستغانم أزور الثقافية ثمانية وأربعين قصيدة، "وهناك ديوان آخر لنفس الشاعر تحت الطبع جمع قصائده "الحاج الحبيب حشلاف" يحتوي على ستة وخمسين قصيدة موزعة على مائة وخمسة وأربعين صفحة"[1]، لكن هذا لا يمنع وجود كنوز أخرى من شعره فمن عمر في الحياة القدر الذي عاشه بن خلوف لا يعقل أن يكتفي بهذا العدد الضئيل من القصائد، ولعله يوما سنعيش ظهور قصائد أخرى للشاعر فتفتح الرفوف ستارها وتكشف الخزانات خباياها.

[1]– ينظر :دواجي عبد القادر ، الخطاب الشعري عند سيدي بن خلوف، ص55.

لقد كانت الآثار الشعرية لابن خلوف مرآة يتجلى من خلالها حبه وشغفه للرسول صلى الله

فتفنن الشاعر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في وصف جماله ومحامده وذكر مناقبه حتى لقب بمداح الرسول صلى الله علية وسلم حيث " طرق سيدي بن خلوف بابا واحدا من أبواب الشعر ومدحه ممزوج بالحماسة والحكم والزهد، بعيدا كل البعد عما لا يناسب الولي الصالح كالغزل والرثاء وما بكى إلا على تفريطه أو شوقه للرسول صلى الله عليه وسلم ...فلم يضارعه أحد من شعراء الملحون في المدح"[1]، فقد أفنى أغلب عمره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما يثبته قوله:

مَنْهَا مْشَاتْ أَرْبْعِينْ سْنَةَ مْثَلْ الَسْرَابْ وَالِلِيْ بْقَىْ مْشَى فِي مَدْحْ الْمَبْرُورْ[2]

لكن هذا لا ينفي تعرضه لبعض المواضيع الأخرى إضافة إلى المدح، فتنوعت التجربة الشعرية لابن خلوف، فحملت قصائده موضوعات منها الزهد، والتوسل، والقصص الدينية، الوصية، والوصف والجفريات، المثل واللغز وسنعطي، وسنتطرق إلى ذكر هذه الموضوعات مع نماذج من شعر بن خلوف.

أ- المدح

[1]- بخوشة محمد، الديوان، ص 06.

[2]- المرجع نفسه، ص 26.

لقد اشتهر بن خلوف بحبه للرسول صلى الله عليه وسلم فجاءت معظم قصائده مصطبغة بالمديح النبوي الذي يعبر عن مقام من مقامات الصوفية، فهو حب روحي تخلوه أي علة وهذه العاطفة هي عاطفة دينية صادقة تعبر عن إيمان الشاعر القوي، ويكون المدح بذكر صفاته الخلقية والخلقية

والحديث عن سيرته ومعجزاته كما يذكر ألقابه ويذكر أصحابه ويصلي عليه ويناجيه ويتضرع له طلبا للشفاعة، ومن الأمثلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي: يقول بن خلوف في قصيدة له الموسومة " أحسن ما يقال عندي" :

أَحْسْنْ مَا يْقَالْ عَنْدِيْ بِسْمْ اَللَهْ وْبِيكْ نَبْدَا

حُبَكْ فِيْ سَلْطَانْ جَسْدِيْ مَا عَزَّكْيَاعِينْ وَحْدَا

كِيفْ اْلنَحْلَةْ اْلِّي تَسْدِي تَبْنِي شَهْدَةْ فُوْقْ شَهْدَا

يَا مُحَمَدْ أَنْتَ سِيدِيْ صَلَىْ اَللَهْ عْلِيكْ لَبْدَا[1]

يتبين من خلال الأبيات حب الشاعر للرسول الذي يسري في كامل جسده، فيقر بأنه العين التي ينظر بها إلى الحياة ثم يضيف ويستعطفه بقدر الجهد الذي تبذله النحلة في بناء الشهد الذي يشفي الناس من الأسقام.

وفي موضع آخر يمدح قائلا :

[1]– بخوشة محمد، الديوان، ص41.

الْنَاسْ لِكُلْ وَاحَدْ حَرْفَةْ وَأَنَا حَرَفْتِي الْعَدْنَانِيْ

إِذَا مْدَحْتْ جَدْ الْشَرْفَا يَتْخَلَلْ ٱلشَهْدْ فِيْ لَسَانِيْ

وْإِذَا ذْكَرْتْ زِينْ الْصْفَا بِالْرُوحْوْ الَعْقَلْ يَكْفَانِيْ[1]

لقد اتخذ الشاعر في مدح الرسول حرفة له فقد خالف الناس في حرفهم، وأنّه بمجرد ذكر الرسول ومدحه وكأن العسل يتدفق من لسانه وعقله وروحه يكفنانه.

ويستمر الشاعر في مدحه للرسول فيشيد بعظمة ممدوحه فصاغها في قصيدة عظيمة تحت عنوان "مفتاح خير لا ينفذ" يذكر في أبيات منها :

لَوْ كَانَتْ ٱلاَكْوَانْ الْأَجْبَالْ يُقَالْ فِيكْاَنْتَ الْرَبْوَةْ

وَلَوْ كَانَتْ ٱلاَكْوَانْ جْمَالْ يُقَالْ فِيكْ اَنْتَ الْدَرْوَةْ

وْلَوْ كَانَتْ الْاَكْوَانْ اَحْمَالْ يْقَالْ فِيكْ اَنْتَ الْعَلْوَةْ

لَوْ كَانَتْ الْاَكْوَانْ شَهْدْ مَفْرُوزْ مَا مَثْلَكْ شَهْدَةْ

مَارَاتْ عِينوْلَاشَافَتْ مَخْلُوقْ مَثْلَكْ فِيْ ٱلدَنْيَا

يَاسِيدْ الْأُمَةْ مُحَمَدْ صَلَّىْ الَلهْ عَلِيكْ لَبْدَا[2]

[1]– بخوشة محمد، الديوان ، ص 141.

[2]– بخوشة محمد ، الديوان ،ص 80.

لقد صاغ الشاعر قصيدته صياغة محكمة قلما نجدها في الشعر الشعبي والفصيح على حد سواء وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ثقافة بن خلوف الواسعة، فيبين الشاعر أن الرسول سبب الوجود، وأنه أفضل خلق الله بالتالي فهو سيد الأمة والصلاة عليه واجبة.

يطمع الشاعر في شفاعة نبيه في الدنيا والآخرة فنظم في مواضع كثيرة يرجو ذلك ومنها قوله:

الْمَاحِي شَافَعْنَا مَا يَنْسَانَا فِيْ يُومْ الْضِّيقْ سَاعَةْ الْحِيزَةْ يْوَكَدْ

يَمْنَعْنَا مْنْ لْهِيبْ نِيرَانْ الْحَمْرَا وْيَسْلَكْنَا مَنْ حْرِيقْهَا وَالْحَمَانْ

يَسْرَعْ بِنَا جْمِيعْ لِلْجَنَةْ الْخَضْرَا لَخْضَرْ مَدَاحْ سِيدْ الْأُمَةْ الْعَدْنَانِيْ[1]

في هذه الأبيات يصف الشاعر النبي بالشفيع في يوم قيام الساعة، فهو دليل على رغبة الشاعر الملحة في شفاعة الرسول من نار جهنم ومن لهيبها وإدخالنا جميعنا الجنة الخضراء.

ويضيف قائلا :

قَلْبِيْ مَشْغُوفْ بَمْدِيحُهْ مَنْ يَشْفَعْ يُوْمْ الْقِيَامَةْ

رَانِيْ نَهْدِي لِيهْ شَعْرِيْ غْزِيرْ وَعَزَّهْ الْمَوْهَبْ[2]

يصّر الشاعر على إظهار شغفه بشفيع يوم القيامة،الذي يهدي له شعره الغزير من موهبته.

[1]– بخوشة محمد الديوان ،ص 125.

[2]– المرجع نفسه ،ص 146.

ويستمر بن خلوف في مدحه للرسول فيذكر صفاته الخلقية التي رآها في المنام وفي المثال يتضح المقال حيث يقول:

وَاسَعْ ٱلْمَنْكَبِينْ مَجْمَعْ الْأَكْتَافْ مَرْشُوشْ الْخَدْ وَ الَجْبِينْ كْحَلْ الْعِينِينْ

مَرْبُوعْ الْقَدْ مُعْتَدَلْ شْنَطْ الْأَكْفَافْ اَسْبَلْ الْشْعَرْ مْسْتَدَلْ مَنْ غِيرْ دَهِينْ[1]

ويقول كذلك :

لَيْسَ قْصِيرْ عَادَمْ لَيْسَ طْوِيلْ عْلَاْ [2]

ويذكر أيضا:

يَا مْنِيرْ الْغُرَةْ وَٱلْخَدْ يَا شْفِيعْ الْأَزْكَانْ ٱلْسْتَا[3]

فهذه الأبيات وأبيات أخرى لم نذكرها يصف الشاعر بن خلوف سمات وهيئة وملامح الرسول صلى الله عليه وسلم فهو" واسع المنكبين، مجمع الأكتاف كحل العينين، معتدل القد واسع الكفين وهو

[1]– المرجع نفسه ،ص 146.

[2]– محمد بخوشة ،الديوان ، ص128 .

[3]– المرجع نفسه، ص 149.

دليل على سخائه وعطائه عدله وسماحته عليه السلام كما أنه رطب الشعر وأفلج الأسنان باسم الثغر وأنه الشمس في قمة ضياءها وهذا لا يختلف عما وصفته الكتب في شخصه"[1].

أما عن صفاته الخُلُقَيَة فإن الشاعر أقر بها في أكثر من موضع فقد استوحى ذلك من قوله تعالى في سورة القلم الآية 4 {وإنك لعلى خلق عظيم}، فأورد يقول:

مْحَمَدْ رَاحَةْ اَلقْلُوبْ عْظِيمْ الْجَاهْ فِي سُورَةْ نُونْ وَ الْقَلَمْ مَدْحُهْ رَبِّيْ

مَنْ زَانَهْ بِالْرْسَالَةْ وَاَحْسَنْ بْهَاهْ صَلَىْ اللَهْ عْلِيهْ مُنْذْ كَانْ صْبِيْ[2]

ويزيد على ذلك:

مَغْسُولْ اْلقَلْبْ مَنْ سْوَادْ وَمَنْ حَمْرَا لَا حْقَدْ وْلاَ حْسَدْ مَنْ الْغَّشْ زَلَالِيْ[3]

يختزل لنا الشاعر في هذه الأبيات شرف الرسول وصفاء سريرته من الحقد والغل والحسد وعن سماحة قلبه.

كما تعرض الشاعر إلى ذكر معجزات وغزوات الرسول صلاة الله عليه و سلم في قصيدة عنونها " ألا وجه الحبيب غاب"، ومن المعجزات التي ذكرها فيها نطق ذراع الشاة المسموم.

[1]– عبد القادر دواجي ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، ص 60.

[2]– محمد بخوشة، الديوان، ص 112.

[3]– محمد بخوشة، الديوان ، ص 60.

مَنْ لَاشَافْ الرْسُولْ بِالْصِفَةْ وْ الْذَاتْ يَغْدَا يَنْظَرْشْمَايْلَهْ تَبْرَا أَوْجَاعَهْ

مَلِكْ الْمُلُكْ خَصَّهْ بِالْمُعْجِزَاتْ عْلَىْ الْأَنْبِيَاءْ النَاشْئَةْ مِنْ طْبَاعَهْ

نَطْقْ لِلْصَادِقْ الْأَمِينْ ذْرَاعْ الْشَّاةْ مْحَمَدْ اَنْهَمْرَتْ الَعْيُونْ مِنَاصْبَاعَهْ[1]

يخبرنا بن خلوف أن من لم يحلفه الحظ في رؤية الرسول فإن النظر إلى فضائله كفيلة في بعث الشفاء فيه ، وأن الله عزوجل خوله بمعجزات التي منها أنه أنطق ذرع الشاة المسموم الذي سممته يهودية لكن صلى الله عليه وسلم بمعجزته اكتشف الأمر باستنطاق عظم الذراع التي أخبرته أنه مسموم، وفي ذكر معجزة أخرى يقول:

بْجَاهْ سِيدْ الْرْسُولْ الْمُظَّلَلْ بِالَغْمَامْ وْجَاهْ سِيدْنَا عِيسَىْ رُوحْ اللَهْ قَالْهَا[2]

لقد تطرق الشاعر إلى دليل من دلائل بداية النبوة لمحمد عليه الصلاة والسلام التي تتمثل في غمامة كانت ترافقه في أول رحلة تجارية له، فعرف أصحابه أن لمحمد شأن عظيم في المستقبل.

وقد تطرق الشاعر إلى ذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

صَلَّى اللَهْ عْلِيهْ قَدَرْحْرُوفْ الْشِينْ شْدِيدْ الْبَطْشْ نَقْمَةْ لِلْكَافْرِينْ

مَنْ بِهْ اِنْهَزْمَتْ الَعْسَاكَرْ يُومْ مَحْنِينْ كَانَتْ الْأَنْصَارْ حَاضْرَةْ وْ الْمُهَاجْرِينْ[3]

[1]– المرجع نفسه ، الديوان، ص 107.

[2]– المرجع نفسه، ص162.

[3]– محمد بخوشة، الديوان، ص63.

الغزوة حنين التي ذكرها الله في القرآن الكريم في سورة التوبة الآية 25و26.

لم يترك بن خلوف موضوعا في المدح ولم يتطرق له فكثيرا ما ورد في شعره ذكر أصحابه وآل بيته ومن آثاره التي ذكرهم فيها مايلي:

وَاْينْ هُمْ الْسَادَةْ أَعْمَامْ حِيضْرَةْ وَايَنْ هُمْ اَبْنْ عَمْ الْصَّادِقْ الْأَمِينْ

وَايَنْ هُوَ الْعَبَاسْ وْحَمْزَةْ الْقِيصْرَا فَايَنْ اِبْنْ جَعْفَرْالْحَادَقْ الْوَزِينْ[1]

وفي قوله أيضا:

وَايَنْهُمْ الْخُلَفَاءْ مَعَ الْأَصْحَابْ سْيَادِي بُوبَكَرْ وَعُمَرْ فِيْ الْلحُو[2]

ويقول كذلك:

وَالرَضَى عْلَى أَهْلَهْ الْكِرَامْ بُوبَكَرْ الْصَدِيقْ وَالْحَسَنْ وَالْحُسَيْنْ[3]

يذكر لنا الشاعر في هذه الأبيات حيضرة ويقصد به علي كرم الله وجهه، وحمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم و ابن عباس وابن جعفر، أبوبكر الصديق وعمر العادل ، والحسن والحسين كما يطلب الرضى على أهله.

[1]– المرجع نفسه ، ص 162.

[2]– المرجع نفسه، ص 164.

[3]– محمد بخوشة، الديوان ، ص55.

لقد أخذ شعر المدح عند بن خلوف – حصة الأسد – واختلف شعره عن غيره من الشعراء الشعبي و الفصيح فقد كان مدحه خصيصا للرسول صلى الله عليه وسلم الذي سكن حبه سائر جسده وروحه ، فقلما نجد من الشعراء من مدح الرسول بالطريقة التي مدحها به بن خلوف " ولم يرتبط مدحه بشيخ من الشيوخ أو زاوية من الزوايا شأن أغلب شعراء الشعبيين وإنما حافظ على شخصيته كعالم ، وشاعر له رؤيته الدينية التي ترفض التبعية والولاء للأشخاص" [1]، لهذا لقب بمداح الرسول.

ب– الزهد

لقد عاش الشاعر بن خلوف حياة بسيطة متواضعة وهذا نظرا لانزواءه للعبادة و طلب المغفرة والذكر و التفكير في الآخرة والبكاء على ذنبه فانقطع عن مغريات الحياة وملذاتها، ومن الإثباتات على ذلك قوله في قصيدة "محمد خير الأنام":

يَامَاذَا مَنْ عِينْ نَايْمَةْ يَرْجَاهَا الْنُومْ الْطْوِيلْ

وَمَاذَا عَنْ رَاسْ فَالسْمَا ماعَارَفْ الْمُوتْ تْصِيلْ

حَاسَبْ دَارْالْشُّومْ دَايْمَةْ وْلَاعَنْدَهْ مَنْهَـا رِيحَانْ

لَا تَدْبِيرْ وْلَااسْتِقَامْ وْلَا تَرْشِـيدْ وَلَا لْـجَـام[2]

[1]– التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1989 ، ص66.

[2]– بخوشة محمد ،الديوان، ص 85.

يشعرنا هذا المقطع بحقيقة الموت وأنها تطول كل شيء في هذا العالم، فعلى كل غافل شغلته الدنيا أن يستفيق لحقيقة فناء الحياة فعليه صد نزواتها وإحكام لجامها، وفي نفس الموضوع يورِد قائلا:

يَاعْمَايَةْ بَصْرِي مَاصَبْتْ فَايْدَةْ كُنْتْ حَاسَبْهَا دَارْ ٱلْدَنْيَا تْدُومْ

مَا سْهَرْتْ وْمَاغْنِيتْ فِي اَلكْدَا لَابَسْ عْبَايْتِي مْطَلْيَةْ بِالَحْمُومْ

الْقَبَرْ يَرْجَانِي وَ الْمُوتْ الْبَارْدَةْ الْسَّفَرْ الْطْوِيلْ مَا مْصَايَبْ الْنُومْ[1]

وقد كانت حياة الشاعر بسيطة متواضعة يعيش حياة زاهد وليس له من الممتلكات إلا الضرورية منها أو لنقل أنها تكاد منعدمة فغير خيمة وسبحة وعمامة وشملة وبرانيس صوف، لا يملك شيئ ، وهذا دليل واضح على زهده، وقد قسم هذه التركة بين أولاده وعن ما ذكرناه يقول الشاعر:

أَنْتِ يَامْحَمَدْ اَتْهَلَى فِيْ خِيمْتِـيْ اَنْتَ كْبِيرْدَارِي وَأَنْتَ مُولاَهَا

وْأَنْتَ يَا أَحْمَدْ خُذْ أَدِيْ سَبْحَتِـيْ بِهَا تْذْكَرْنِي وَقْتْ تَقْرَاهَا

وْأَنْتَ يَابْلْقَاسَمْ عَمَمْ بَعْـمامْتِـي تْضَحِيْ لَكْ هِيبَةْ لِمَنْ يْرَاهَا

أَتْهَلَاوْ فِي بَعْضَكُم لَاتْشَفُو افِيَّا لَعْدَا قُومُو اجَنَازْتِي وَاَعْطُو ٱلْمَعْرُوف[2]

ويقول أيضا في قصيدة " الموت لا غنى تدركني":

[1]– عبد القادر دواجي ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، "قصيدة ليلة الهجوم "، ص 276.

[2]- عبد القادر دواجي ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، "قصيدة ليلة الهجوم ، صص290–291.

ٱلمُوتْ لَا غْنَى تَدْرَكْنِي صَحْ الَخْبَرْ بْلاَ شَّكْ وْلَا ارْتِيَابْ

لِيلَةْ الْرحِيلْ مَا يَأْتِيني فِي كُلْ حِينْ حَجْلَةْ تْسَافَرْ بِهَا عْقَابْ

مَا أَقْوَاكْ رَاقْدَةْ وَتْنَامِي مَـا فِـي الَرْقَادْ عَنْـدِي حَـاجَـةْ

ذَمُوهْ سَادِاتِي قَدَامِي الْـنَـوْمْ الْـطَـوِيـلْ لِيـهْ اَتْرَجَى

يَا عِينْ لَاْ تنَامِي بِنَا اَتِـفَـكْـرِي عـْذَابْ الـقْـبَـر[1]

يؤكد الشاعر دائما على الموت وأن خبر وجوده صحيح لا ريب فيه ويتمنى أن لا يأتيه على غفلة ويأخذه كما يأخذ العقاب فريسته، وهو في لوم شديد على عينه التي تنام ولا تتفكر يوم الحساب والعقاب بل يوجه خطابه لكل عين نائمة غافلة عن مصيرها.

ج – التوسل:

لقد جاء شعر بن خلوف مليء بغرض التوسل فقد أظهر الشاعر بن خلوف في قصائده فقره إلى الله تعالى ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام، والتي يطلب فيها أن يأخذ بيده ويتجاوز عن سيئاته فهذا ليس غريب على ولي صالح عرف بتقواه وإيمانه الكبيرين بالله ومن عرف الله أدرك أن لا غيره يتوكل عليه، يقول الشاعر في هذا الشأن:

يَـارَّبْ يَاذَا الْجَـلَالْ يَا مَنْ لَا عِينْ تْرَاهْ

[1]– المرجع نفسه، ص138.

اَغْفَرْ لِيْ فِيمَا مْضَى لِيْ بْحَرْمَةْ كُلْ جَاهْ

وَاسْمَحْ لِي فِيمَاْ بقَى لِيْ يَا مَنْ لَا رْحِيمْ سْوَاه[1]

ينادي الشاعر ربه ذو الجلال والإكرام الخفي المستتر أن يغفر له ذنوبه فيما مضى بحرمة كل عزيز عنده، وأن يسمح له فيما سيعيشه من حياة آتية لأن لا رحيم غيره.

ثم يزيد في الإلحاح وتأكيد طلبه قائلا:

يَا مَنْ هُو حَقْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو اغْفَرْ ذَنْبِي بْتَوْبْة آدَم وحَوَّا

و بالحَرمَيْنْ و الصَّفَا و المَرْوَا اقْبَلْيَوْمْ الحْسَابْ عُذْرِي

اجْعَلْ لِي مَا اسْعَيْتْ لَيْلَة هَنِيَّة و بالطَّـاغُوتْ كَانْ كُفْرِي

إِيمَـانِي بِيكْ سَرْ و عَلاَنِيَّة ارْحَمْ يَوْمْ أَنْزُورْ قَبْرِي

أَغْفَرْ لِي مَا مْضَى بْغَافِرْ التَّنْزِيلْ واصْلَحْ لِي مَا بْقَى بْفَضْلْ المُزَمِّلْ

وبالتَّوْرَاة و الزَّبُورْ مْعَ الانْجِيلْ وبالفُرْقَانْ حُطْ وزْرِي[2]

[1]– بخوشة محمد، الديوان ، ص 84.

[2]– جمعيّة آفاق مستغانم، سيدي لخضر بن خلوف،حياته و قصائده، ص 74.

تظهر لنا جليا مظاهر التوسل في هذا المقطع وذلك من خلال الأدعية التي استعملها بن خلوف التي تعبر عنها الألفاظ التالية:اغْفَر،ارْحَمْ، اقْبَلْ، اجْعَلْ،واصْلَحْ،غرضها طلب المغفرة والتوبة من الله عزوجل، كما يضيف مناجيا متوسلا:

يَا غَفَّارْ أَغْفَرْ ذَنْبْ الشَّـاعــرْ والحَاضْرِينْ و السَّامْعِينْ لَفْظْ انْشَادِي

يَا سَاتَرْ العْيُوبْ أَنَا عَبْـدَكْ قَاصَـرْ لاَ عِلْمْ لاَ اعْمـالْ مَا هَيَّــتْ زَادِي

رَبِّ حَنَّنْ لِي القَلـّبْ القَـاســحْ يَا خَالَقْ العبَـادْ أَنْتَ أَلِّي تَرْعَـانَا

عَبْدَكْ الضْعِيفْ مُذْنِبْ دموعو سْيَاحْ الجُودْ و العْفـوُ مَنْ فَـضـلَكْ يَرْجَـانَا

سَعْدِي مْعَ النْبِي بَتْ مْعَاهْ البَـارَحْ مْشَرَّفْ النْسَبْ جَابْهـُولِي مـُولاَنَـا[1]

عبر الشاعر عن خلجات نفسه في هذا المقطع وأبرز توسله وتضرعه إلى الله تعالى واصفا نفسه بالمذنب والقاصر والقاسح والضعيف، طالبا الجود والعفو من ربه سبحانه ،كما يصف سعادته لرؤية النبي الذي رآه في منامه.

كما يتوسل الشاعر بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه صاحب الشفاعة يوم القيامة لمذنب مثل ابن خلوف فيقول:

يَا مُحَمَدْ لِكْ يَفْزَعْ مَنْ لَا لَهُ فِي الْنَاسْ وَالِيْ

[1]– المرجع نفسه، ص 141.

لَا غِيرَكْ مَنَاعْ يَمْنَعْ مِنْ سَطْوَةْ مُولَىْ الْوَالِيْ

لَا غِيرَكْ شَافَعْ يَشْفَعْ مَنْ هُوَ عَرَةْ بْحَالِيْ[1]

كما يضيف الشاعر و يقول في نفس الموضوع:

مَا نْوَجْدُو غِيرَهْ يُوْمْ الْضّيقْ وَالْحَسْرَةْ هُوَ شْفِيعْنَا إِمَامْ الْأَنْبَيَاءْ وَ الْأَسْعَدْ

أَنْتَ شْفِيعْنَا بِإِذْنْ رَبْنَا الْغَفَارْ وَ اللِّيَ يكْذَبْ بِكْ فِي الْسْعِيرْ اَخْلَدْ[2]

الشاعر على يقين عظيم أن الله تعالى خص الرسول بالشفاعة يوم القيامة فإيمانه العميق بذلك جعله يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ورد التوسل في العديد من المواضع في شعر الخلوفي وما تطرقنا إليه هي أمثلة لا للحصر.

د –الشعر القصصي (القصص الدينية):

لقد تضمن شعر الخلوفي قصص دينية وتراثية ، يضفي فيها جانبا من الموعظة والحكمة والاعتبار لمن أرادالعبرة، ومن القصص التي جاءت في نظم بن خلوف قصة " لقد تضمن شعر الخلوفي قصص دينية وتراثية ، يضفي فيها جانبا من الموعظة والحكمة والاعتبار لمن أراد العبرة ، ومن القصص التي جاءت في نظم بن خلوف قصة " جرت بين أخوين وهبهم الله المال الكثير عاشوا في زمن مضى

[1] – بخوشة محمد، الديوان ، ص 44.

[2] – المرجع نفسه، ص88.

أحدهم كان كريما جوادا معطاء سخيا وأما الأخر فبخيل شحيح ،جاعلا يده مغلولة في عنقه ، له المال الكثير و لا ينفقه، بل ولا يصدقه على نفسه وعياله ، وشاء القدر لهما أن يتوفاهما الله إليه وجاء يوم الفصل ونصب الميزان ،وحضر الكيل فلا يظلم عند الله أحد فغنم الكريم غنما ونصره الله وثقلت كفته ، وأما البخيل فحبطت كفته وساء عمله واكفهر حاله فلا فرح بماله لا في الدنيا ولا في الآخرة ففاز الكريم وخاب البخيل" [1]، فيرويها الشاعر:

نْوَرِيكُمْ قِصَةْ جْرَاتْ الْأَيَامْ الْفـوتْ مَا بِينْ خُوتِينْ هَابُوا الْمَالْ الْكْثِيرْ

عَاشُوْا حَتَىْ قْضَى عْلِيهُمْ اَللهْ بِالْمُوتْ وْتْشَتَتْ مَالْهُمْ عْلَى حَـدْ الْغِيرْ

كُانْ مَنْهُمَا الَبْخِيلْ مَحْرُومْ الْقُوتْ وْأَمَا خُوهْ سَهْمَهْ عَنَّدْ اَللَهْ كْبِيرْ

اِرْتَـفَـعُوا لِـلْـشَـرْعْ اَغْـضَـابْ و الْمِيزَانْ اَنْتَصَبْ وَحَضَرْ مْكَيَلا لَهْ

فَضُّـوّهْ فِي الْسَـاعْ بِالـصْـوَابْ وْنَقْـصْ مَالْ الْبْخِيلْ وْتَشَّيّنْ حَالَه[2]

وفي قصيدة أخرى لقصة أخرى يقول الشاعر:

بِسْمْ الْإِلاَه نَبْتَدَأ الْقَصِيدَةْ يَا حَضْرَةْ وْ الْصَلاَةْ عْلَى الَرْسُـولْ الْعَدْنَانِيْ

نْوَرْلْكُمْ قَصَةْ الْغُلَامْ الْمُعْتَـبَـرَةْ عُمَرْبَنْ الْيَـزِيْد رَاعِي الْحَيَوَانِيْ

[1] – عبد القادر دواجي ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، ص 95.

[2] – بخوشة محمد، الديوان، ص111.

اَسَمْعُوْا يَا عْبَادِيْ مَنِي ذُو الْأَبْيَاتْ مَاجَا فِيْ قَصَةْ الْغُلَامْ بَنْ ألِيَزِيدْ

يُومْ اَخْرَجْ الْرَسُولْ فِي بَعْضْ الْغَزَوَاتْ لْحَقْ عَنْدْ الْإِبَلْ رَاعِي وَلْدْ فْرِيدْ

قَالْ ألْغُلَامْ لِلْنَبِي يَا نْعَمْ الْسَادَاتْ آعَنْدَكْ مَا تْسَالْ وَسَالْ مَا تْرِيدْ[1]

تدور مجريات القصة حول الرسول صلى الله عليه وسلم و هو في طريقه إلى غزوة أين التقى بغلام يسمى عمر بن اليزيد فهذا الأخير خاطب الرسول وسأ له عن احتياجاته ، فرد عليه الصلاة والسلام أنه بحاجة إلى الماء وأضاف له أنه رسول من رب العالمين،و لما سمع الغلام أنه رسول الله فثار غيظا وقال له نحن لسنا منك ،فاندفع صحابة الرسول إلى الغلام مشحونين غضبا ، لكن الرسول عليه الصلاة و السلام حثهم على الصبر و أنه مجرد غلام جاهل و صغير فدعا له بالرحمة والمغفرة عله يدرك يوما قيمة هذا الدين يوما.

كما وردت العديد من القصص في شعر بن خلوف فمثلا نجد في قصيدة " صلوا و سلموا"[2]

قصة سيدنا موسى عليه السلام مع ملكين في صورتي حمامة وباز طالبين الحكم في أمرهما من موسى

[1]- المرجع نفسه ، ص119.

[2]- بخوشة محمد، الديوان ، ص 124.

عليه السلام، وفي قصيدة "بسم الله بديت نزمم"[1] قصة الطفلة التي وئدت في زمن الجاهلية ، وفي قصيدة "اوياك راه عار بشيي"[2] أحداث قصةشداد بن عاد والنمرود اللذان تكبرا وتجبرا وطغيا في البلاد.

هـ–الوصف :

عاش الشاعر وقائع عصره فوصف أحداثه و تطوراته وخاصة السياسية منها فقاد معارك في حملات ضد الغزو الإسباني دفاعا عن حمى الوطن وشرفه وكرامته ومن بين أهم المعارك التي خاضها " وقعة مزغران " و "معركة شرشال" ففي وصف معركة شرشال يقول :

شَابْ رَاسِيَ منْ قُوَةْ لِيعَةْ الْحَمَالْ مْسَطْرِينْ ْالفُرْسَانْ مَاشْيَةْوْجَايَةْ

وَالْخَلُوفِي يَنْدَهْ وْسَايَسْ فَالْأَبْطَالْ وِ اَلعْرَبْ بْسْنَاجَقْ وَ الْقُومْ غَازْيَةْ

فِي جْبَلْ شَرْشَالْ حَطِينَا لِلْقْتَالْ يْحَقْ فِي ذَلِكْ ْاليُومْ اَمْرَا بَاكْيَة

اَخْرَجْنَاَ منْ البْلِيدَة وَاحْنَا مْزَرْبْعِينْ شْوَارْ الأَصْنَابْ ابَنِينَاَ بْلدَةْ مِنْ اَلعْلُومْ

حَتَى لَشُورْ الْمَرْجَةْ وَ الْنَاسْ جَافْلَةْ مْقَامْ سِيدِي عَبْدْ اللَهْ ْالوَلَيْ ْالزَعِـيمْ

الْخِيْر جَانَاُ وزْكَـمَامْــدَةْ اَنْدَهْواقَالُو ا لِينَا شَرْطَةْ بِالْـعُزُومْ

عَنْدْ عَسْعَاسْ ْاللِيلْ شَرْطَانْ الَمْسَايْرَةْ فِي شْلَفْ حَطِينَا وَالْقُومْ مْسَرْطَـةْ

[1]– المرجع نفسه ، ص 127.

[2]– المرجع نفسه، ص 137.

الَخْبَرْ مَنْ هبرة كَلَمْتَـهْ مُفِـيـدَةْ قَالْ فِي بُو عَسْرَيَةْ نَازْلَـةْ الْــرُومْ

أَوْلَادْ شَنْضَاضْ عَلَى خَبْيَةْ مْجَنْدَةَ عَنْدْ سيدي بَلْقَاسَمْ نَـازْلَةْ الْــرُومْ .[1]

يصف لنا الشاعر مسيرته من العاصمة إلى جبل شرشال وهذه المسيرة ضد الغزو الإسباني كما يصف الجيش العظيم الذي هدفه النصر ثم اتجه إلى الشلف أين ازداد الجيش عددا، ثم التقى بعدوه في منطقة بوعسرية بمستغانم أين حالف النصر العظيم الجيش الإسلامي.

ويقول كذلك:

كِيفً تَمِينِا هَذِه الْغَزْوَةْ الْفَاتْنَةْ اْنْطَـلَقْ الْبَرَاحْ فِي سْـبِيلْ الَقْبِـيلْ

أَوْلَادْحَلْيَاتْ عَاوْنُونَا وْعَرْبَانْ اَلحْسَاسْنَةْ مَـنْهَمْ مَجْـاهَرْعَطْـفُو بْلَا خْـتِيلْ

وَالَعْرَبْ مَنْكْرِيشْتَالْ وَالْقْنَاقْ وَ عَاوْنُونَا فِي ذَلِكْ الْيُومْ فِي الْمُجَاهْدَةْ

كُلْطَرْشُونْ عْلَى قْبِيلْتُو مْرَعْدَةْ حَتَى لَحَدْ الْدُومَةْ مْقَابْلَــةْ الْـدْوَامْ

اَلعْرَبْ وَالقْبَايَلْ سَامْسْطَةْ هَادَةْ تَبَارْكَ الْلهْ عْـلَى سَلْطَـانْ كُلْ قُـومْ.[2]

يخبرنا بن خلوف عن كيفية انتهاءه من هذه المعركة ، ويذكر من ساعده من قبائل وعرب في المجاهدة فيثني عليهم ويبارك الله على كل سلطان قوم.

[1]– ينظر:عبد القادر دواجي ،الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري، قصيدة " ليلة الهجوم"، ص278.

[2]– ينظر:عبد القادر دواجي ، ا لخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري، قصيدة " ليلة الهجوم"، ص 279.

وفي وصف وقعة مزغران يقول الشاعر:

يَا فَارَسَ منْ ثَمْ جِيتْ الْيُوم غَزوَةْمْزَغْـرَانْ مَعْلُومَـةْ

يَاعَجْلان رَبَضْ الْمَلْجُـومْ رَايَتْ اجْنَابْ الْشْلَوْ مَوْشُوَمةْ

يَا سَايْلْنِي عَنْ طْرَادْ الْرُومْ قَصَـةْمْزَغْرَانْ مَعْلُومَةْ[1]

ويضيف قائلا:

حَسْرَاهْ بِالْدَنْيَا كَالِّلي مَا كَانْتْ عَدِيتْ شْبُوبْ صَغْرِي فِي مْزَغْرَانْ

سِيفِي مْجَرَدْ وَ أَنَا نْضْرَبْ فِي الْعْدَا وَ الْنَاسْ دَالْجَة مَنْ زَجرِي بِالْخُوفْ

خَلْفِي وَ عْلَى يْمِينِي الَجْمَاجَمْ رَاقْدَةْ وَ الْخَلْقْ طَايْحَةْ تْنَحْسَبْ بِالْأْلُوف[2]

في هذين المقطعين يصف لنا بن خلوف معركة مزغران التي وقعت في منطقة مزغران ضد الغزو الإسباني كما يصف مشاركته الباسلة في المعركة، أين حققوا النصر الذي بقي خالدا يفتخر به أهل منطقته و الوطن.

و-الوصية:

[1]- المرجع نفسه، ص 277.

[2]- المرجع نفسه، ص191.

تطرق بن خلوف في شعره إلى ذكر وصايا لابناءه وأهله و عشيرته، فلما أحس الشاعر بدنو أجله جمع أهله ليوصيهم ومن الوصايا التي خلفها بن خلوف في شعره وذلك في قصيدة

"ابقاو بالسلامة" التي هي ناقصة في الديوان، لكن القصيدة كاملة في(الملحق الشعري) ، يقول الشاعر:

أَنْتَ يَاْ محَمْدْ اْتهَلِى فِي خِيمْتِـيْ اَنْتَ كْبِيرْ دَارِي وْ أَنْتَ مُولَاهَا

وأَنْتَ يَا أَحْمَدْ خُذْ أَدِي سَبْحْتِـيْ بِهَا تْذَكْـرْنِيَ وقْـتْتَقْرَاهَا

وَ أَنْتَ يَا بَلْقَاسَمْ عَمَمْ بَعْـمَامْتِـيْ تْضَحِيْ لَـكْ هِيـبَةْ لَمَنْ يْـرَاهاَ

أَتْهَلَاوْ فِي بَعْضَكُمْ لَا تَشْفُوا فِيَّ الَعْـدَا قُومُوا جَنَازْتِي وَ اعْطُوا اَلمَعْرُوف[1]

كما سبق الذكر فإن الشاعر يقسم تركته بين أولاده ويوصيهم بالتآخي فيما بينهم وأن لا يكونوا عرضة للأعداء، كما يوصيهم بأن يقوموا جنازته.

وفي نفس القصيدة يقول:

بَرُوا يَا بْخَيْتْكُمْ هَجَالَةْ حَفْصَةْ بَنْتْ اَلأَكْحَلْ مَدَاحْ الْرَسُولْ

[1]– عبد القادر دواجي ، ا لخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، قصيدة "ابقاو بالسلامة"، صص290–291.

ألْبَنْتْ يَاكْتَنْهَانْ بْلَا رَجَالَةْ اَنْتُمَا رَجَالْهَا يَاسَابْقِينْ الْخِيرْ

إِذَا بْكَاتْنِي مَعْذُورَةَ فِي حَالْهَا تَبْكِي عْلَى ألْخَلُوفِي بُوهَا لَا غِيرْ

هَذِي وْصَايْتِي لَا نَاقَصْ لَا زَايْدَةْ لَا تْفَرَّكْتُواْ نظَامِيَ للِي مَتْلُوفْ

وَنَدْعُوا ألْخَيرْ لِيكُمْ مَا طَالَتْ الْمُدَةْ ألْدُنْيَا وَ الآَخِرَةْ مَا يْدَرِّكُكُمْ خُوفْ

نْوَصِيكُمْ يَا مْحَمَدْلَاتْصَدَقْشْ مَنْه هُوَ بْخِيلْ وَجْهُو عْلِيكْ يَلَوِيهْ عَلَى الْفِصَالْ

اَقْصَدْ ألْكَرِيمْ لَوْ يَعْطِيكْ شِيءقَلِيلْ مَبْرُوكْ فِيَ زادْ وَعِند الْمَوْلَى تَعَالَى

وَ الَكْرِيمْ خِيمْتُوا طُولْ الْدَهْرْ مْشَيْدَةْ قْصَرْوَمَنْ ذْهَبْ وْ الْفَضَةْ مَسْلُوفْ

وَقْتْ آَنْمُوتْ يَا محَمَد دِيرْ الَنْصَافْ وَصِي عْلَى بُوكْ ذُوكْ الْغَسَالِينْ

يَغْسَلُوا عْظَامِي مَنْ الَبْنَا الْقُوفْ وْيْنَزْعَّوا ثْيَابِي شَفْقَةْ فِي الْحِينْ

وَالْمَاء يْكُونْ طَاهَر يَمْزَجْ فِيهْ الشَفَافْ هَذِيكْ عَادَةْ إِمَامْ الْمُرْسَلِينْ[1]

يوصي بن خلوف أولاده على أختهم حفصة فحمايتها وصون عرضها مسؤولية على إخوتها فالبنت تهان من دون رجل يصونها ، ويعذر بن خلوف ابنته إن بكت عليه يوم رحيله عن الحياة فلا غير لها أغلى منه،ثم يطلب منهم أن يمشوا على خطاه و على نظامه السائد فدعواته تصاحبهم ينالون منها الآمان في الدنيا والآخرة، ثم يوجه الخطاب لابنه محمد وهو أكبر أولاده و يوصيه في يوم الحاجة

[1]– عبد القادر دواجي ،الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، الملحق الشعري،قصيدة " أبقاو بالسلامة"، ص291–292.

يقصد الكريم و يتفادى البخيل فالأول زاده مبروك ،أما الثاني فإنه يرده خائب ،ويزيد في ذلك ويطلب منه يوم وفاته أن يغسل بالماء الطاهر إتباعا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أوصى الشاعر بدفنه تحت نخلة عظيمة شامخة " وفي غالب الأحيان يقف المرء مذهولا أمام عظمة النخلة وتقوسها الطويل فصعودا إلى الأعلى متضرعة إلى الله ومسبحة له في البكرة والأصيل ومن عظمة سرها أنها تعرضت لعدة محاولات لحرقها وقطعها و لكن دون جدوى "[1]، ففي ذكرالنخلة يرد على لسان الشاعر:

النخلة مثبتة تلقح بعد اليبوس آحذاها يكون قبري يا مسلمين[2]

م–الجفريات:

نعني بالشعر الجفري "هو ذلك الشعر الذي يتنبأ فيه الشاعر بما يجري من أحداث في المستقبل من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله وكما يقول ابن خلدون إن البشر محجوبون عن الغيب إلا ما أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاية"[3] وقد خص الله عزوجل سيدي الأخضر بالولاية وذلك ما خوله بتنبؤ بأحداث مستقبلية ، وقد نظم الشاعر قصيدتين جفريتين " إحدى هاتين القصيدتين عثرنا عليها ناقصة من كتاب (سونك) المعنون ب الديوان المغرب في أقوال عرب إفريقيا و المغرب والقصيدة كانت بعنوان **صلي علىالنبي وارضوا على العشرا** ، و الثانية هي إحدى القصائد التي

[1]– المرجع نفسه، ص88.

[2]– بخوشة محمد الديوان ، ص193.

[3]– عبد القادردواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف،ص110.

ألحقناها بهذه الدراسة وجمعناها من مقابلة مع الشيخ لخضاري الحاج مروان وعنوانها في الملحق الشعري **ياناس اللي ما تقرا وجاية**[1]

وفي هذا الشأن يقول الشاعر:

أول اثنا عشر القرن بالقرون آعداد يا ابن خلوف بعدك تضوف ما يطرى

تبرى وتزول هذه الهموم والأنكاد وتعود فرح وسرور ما ترى كشرا

بإذن الله وهران تعود للإسلام بالعلم و العمل و المحاضر و القرآن

وتعود الرحمة للغريب والأيتام واطعام من تولى وسوقها رنان

في البيع و الشرا لا تقيس هذه البلاد وجميع من دخلها ضعيف عاد برا

من كل جنس تأتي بشر بها اعداد بالقمح و الشعير العزيز يا خسارا

ترخس جميع الأسعار من الزرع و الثمار بإذن الله ربي هو أعلم وأدرا

طامةتجي من البحر كالنمل غوار تدي قليل من الإسلام مكبل أسرا

وشيء إسلام ترتد ثاني للكفار والناس باقية في الهلاك والقهرا

ويجوك قوم الأتراك والعرب جناد ويوقع طراد كثير ثما في غمرة[1]

[1]– المرجع نفسه، صص110–111.

يتنبأ الشاعر في القرن الثاني عشر هجري بأن الهموم والأنكاد تزول و تسود الأفراح ،ويعم الإسلام وهران ويعود إليها الأمن والأمان وتكثر فيها الأرزاق والخيرات ، إلى يوم يأتيها العدو ويفقدها استقرارها لكن تتحرر مرة أخرى من غزو الأسبان بتعاون العرب والأتراك. وفي موضع آخر للتنبؤ يقول أيضا:

قرن الثالث عشر وخوه في الوجود عقبت الدنيا جات اليوم للحضر

فارحين أماليها وقاصدة العذاب أهل المال تعصب وتزيد في الكبر

فقير بلا أكل لا شراب مسبين الإيمان ومتبعين اليسار

كل يوم يصبح عند صفة الغراب عمر الدنيا ما تضحى مساوية

فتات بنت الشرفا في الهم و الكرود و الشرف معها سجرة خاوية

العبيد عند الكفار ومشامت اليهود القتيلة تكثرو و الدم و الجراح

والنسا في الأسواق ألا يشبروا متعاندين على صرف المال و الشباح

يوم ليهم وغدوا لهواك ينكروا مالكين الفحشاء بالصوت و الصياح[2] .

يتكهن الشاعر في القرن الثالث عشر بحدوث آفات مخالفة و قيم الدين الإسلامي، كما تبدو قصيدة الشاعر مطابقة للأحداث المعاشة في زماننا فقد انتشر فيها تعصب أصحاب الأموال والفقر والتشرد

[1] – ينظر: عبدالقادر دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، ص111.

[2] – ينظر: عبدالقادر دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف ، "قصيدة أحوال الدنيا كيف ما تكون"، صص284–285.

وأهل الدنيا شاتمين الدين و تابعين القمار ، وأصبح الشرف مهان،وطغى الكفار واليهود في أرض الإسلام مخلفين قتلى وجرحى، وكثرت النساء في الأسواق وشغلهم الشاغل المال والجمال، وكما كثرت الفحشاء .

ثانيا : من حيث اللغة

أ – الألفاظ

إن التجربة التي يعشها الشعراء الصوفيين من جمال العشق و الحب الإلهي،فهم يحبون كما أنهم يغوصون في باطن الأشياء ولا يعتمدون المباشرة وظاهر الأشياء،فهي لا تؤدي إلى الكشف ومعرفة الحقيقة، ولا إلى ذلك التعبير الذي يُرضي أحاسيسهم ويقوي دعائم الخيال التي يفسح المجال لميلاد ألفاظ و عبارات موحية، والدالة على معاني

ومدلولات أخرى التي يتحملها ذلك اللفظ بالتفسير والتأويل .

والشاعر "لخضر بن خلوف "استطاع أن يصل إلى تلك الألفاظ الكلمات الساحرة والمعاني المعبرة و هذا بفضل مكانته الفقهية والدينية ومرتبته العلمية ونزعته الصوفية التي قلنا سابقا أنها لا تَرضى بسطحية التعبير، بل يجتهد كل شاعر صوفي إلى توظيف لغة راقية و عبارات موحية لتعبير عن تلك العلاقة الروحانية ، إذ اللغة الصوفية هي لغة الإشارة المبهمة لدى غيرهم والمعلومة عندهم.

كما أنها ذات طابع جمالي وهي الميزة البارزة التي تمتاز بها اللغة الصوفية، حيث الشاعر يحس بالاغتراب، إذ هو غريب عن هذا العالم ، كونه يتمتع بالروحانية وهذا الانفصام يولد فيه الاستعلاء

أي موقف (تراجيدية)التي تبعث فيه حس الجمال في إنتاجه الألفاظ والتعبير عن ذلك الإحساس والشعور الروحاني الذي يختله ، في تأمله ورغبته في ذلك العالم الروحاني.

وأجمل هذه خصائص التي تتمتع بها اللغة الصوفية، وتتراء لنا النزعة أو القيمة الروحانية لشاعر لخضر بن خلوف في شعره من خلال تلك الألفاظ المشكلة للغة الصوفية، التي تساعدنا على تميز الشعر الصوفي عن غيره، فهي مبنية على روح التجربة الصوفية وهذه الألفاظ تسمى "بالمصطلحات الصوفية" ، فهي تشكل معجم خاص، ونجد في شعره الكثير منها كما في قوله في قصيدة "أَحْوَالْ الدَنْيَا كِيْفْ تْكُوْنْ"

يَا نَاسْ الْلِيْ مَا تَقْرَاوْا جَابْتْ غَارْسِيْنْ الْزْكَازْ خِيْمِةْ بْلاَ عْمُوْدْ

قْرِيْبْ السَاعَةْ وَ نْتُمَا لاَهْيَةْ مَا فْطَنْوشْ بْمَا يَاتِيبَارَقْوْدُ

فِيْكْ رْاهَمْ يْرَجُاو الْاَعْيَادْ رَاضْيَةْ يَاعْرُوسْ الْجَنَةْ يَافَارَسْ الْخْلُودْ

عْلِيْكْ صَلَى الله يَا سَعَدْ السْعُودْ كَانَتْ السَاعَةْ يَاحَسْرَاه لَلَعْرَب[1]

ففي هذه الأبيات نجد ألفاظ عدة تُعد من ابرز المصطلحات الصوفية: " الساعة، فارس وعروس جسراه "وما تعنيه هذه العبارات لدى الصوفيين، فالساعة وحي بالكشف والوقوف أمام الله تعالى. كما نجد في اللغة (السين و الراء و الفاء أصل يدل على الكشف و الجلاء)[2]

[1]- عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، ص284.

[2]– سعاد الحكيم، المعجم الصوفي في حدود الكلمة، داردندرة للطباعة والنشر، ط1، 1981، ص580.

والصوفي يسعى دائما إلى كشف حقيقة الذات الإلهية، فهو يسعى دائما إلى الاتصال بها.

ومن المصطلحات الأخرى ذات الإبعاد الصوفية نجدها في قول الشاعر في مدح الرسول(ص)

لاَ الَهْ إِلاَ الله بَالنْفَى وَالشْبَابْ الثْبَاتْ إلى الله وْ النَفْىَ لْغَيْرُه

لاَ الهْ إَلاَ الله تَوْحِيْدَهَا بْيَاتْ المْرَيْدْ في الْضْمِيْرْ المُسْتَجِيْرْ

لاَ إله إلا الله مَا دَامْت الحْيَاةْ نَذْكَرْ اسْمْ القَادْرْ المْقَتَدَرْ

لاَ الَه اِلاَ الله مَنْ سَرَهَا غْرَامْ جَالْبُه أهل الخَلْوَةُ سالْبَةُ عْقُولْهَا

نَتْمَزَجْ فَي الْجَسَدْ وَ الرُوحْ وَ العَظِمَ نَافِيْه شَغْلْ الدَنْيَا وَ جْمِيْعْ مُوْالَهَا[1]

و الألفاظ (الفناء، القادر، التوحيد، خلوة)، هي ألفاظ من عمق التعبير الصوفي حيث التوحيد هو من جنس العبادة، وهذا ما ذهب إليه الشاعر في هذه الأبيات ، كما نجد كلمة الفناء هي نفي لصفات المذمومة أي أنه ينفي اشتغاله بالدنيا وينفي وجوده فيها ، إذ هو سكران وذلك في شدة تأمله حيث سلب منه العقل، ومن الألفاظ أيضا التي هي من جنس العبادة لفظ التسبيح ونجد ذلك عند الشاعر بكثرة مثال عن ذلك في قوله:

إذْا تْحَيَرتْ مَنْ ذْنُوبِيْ نَسْتَغْفَرْ لاَ اِلَهْ نَذْكَرْ

[1]– بخوشة محمد، ديوان، ص161.

السَتَارْ يَسْتَرْلِي عْيُوبِي نَحَمْدُه وْ لاَبُدْ نَشْكَرْ

يَامَلَكْ الَمُلْكْ رَبِي سَبْحَانْ الدَايَمْ الْمُدَبَرْ

عالَمْ الْغْيُوبْ رَبِي سبَحْانَه فِيْهْ مَا نَكْذَبْ[1]

و قال أيضا:

سَبْحَانْ خَالْقِي خَالَقْنِي وَجْمِعْ الكَائِنَاتْ خْلَقْهَا

سَبْحَانُه رَازَقِّي رَزَقْنِي وَجْمِيْعْ الكَائِنَاتْ رَزَقْهَا[2]

في القصيدة الصوفية الحرف ذات أبعاد كبيرة وعميقة لدى الشعراء، فالحرف في هذه الأبيات يحمل دلالة البحث عن الحقيقة ، يقول الشاعر في مدحه لرسول الكريم في قصيدته "استمثلوا كلامي "

صَلِى الله عْلِيْه قَدْرْ الْحَرْفْ أَلِفْ مُحَمَدْ الشْرِيْفْ اَسْمُه المُفَضَلْ

الْمْصَلِي عْلِيْهْ مَرَة لِهْ عَشْرَة وَالْعَشْرَةُبَالْمَيَا مَنْ الْكْنُزْ الْغَالِي

وْمْيَاه تَرْجَعْ أَلْفْ مَوْزُونَةُ حَمرا مَاذْا مَنْ رَبَحْ في صْلاَةُ المُرْسَالِي[3]

[1]- بخوشة محمد،ديوان، ص679.

[2]- المرجع نفسه، ص134.

[3]- بخوشة محمد، ديوان، ص51.

كما أورد الشاعر (حروف) دون الكلمة مثل حرف الألف، فالحرف عند الصوفيين ذو بعد دلالي والشعراء الصوفيين تعاملوا مع الحروف كأنها أوعية الوحي التي لا تفضح عن ذاتها لمن ليسلك طريقها ويجمع بين عوالمها المتباعدة، وهذا دليل على ما قلناه سابقا أن الشعراء الصوفيين يعتمدون على لغة الإشارة.

وفي أبيات أخرى من قصيدته "ابْقَوْا بَالسْلاَمَةُ "

أنادي عْلَى خْيَامِي اَيْجُونِي بَالْفَزَعَةُ وْنَدْعِي الَناسْ الظْهَرْؤ قَبْلْ اَلمَغِيْبْ

الْشَمْسْ وَ الْقَمَرْ عْلَى القُبَةُ الطَالْعَةُ وْالنُورْ بَانْ يَسْطَعْ مَنْ الضِيْ العْجَيِبْ

هَذاكْ نُوْرْ مُحَمَدْ مَصْبَاحْ الدَعَى الْهَاشَمْي المُصْطَفَى مَنْ مَسَكْ الَحْبِيْبْ[1]

الشاعر منح دلالات قوية و واسعة لقصيدته بتوظيف الألفاظ التالية :(شمس، نور، مصباح، القمر) نجد الشمس والقمر كلمتان تدلان على الظهور والغيب.

أما لفظ النور عند الصوفيين يتعلق باسم من اسما الله الحسنى، كما يدل على كل ما يكشف المستور في الدنيا .

ب– توظيف المعجم القرآني

[1]– عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعر عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، ص289.

وتتجلى النزعة الصوفية في شعر لخضر بن خلوف بدليل توظيفه الواسع للمعجم القرآني، مثال عن ذلك نجد أنه يستنبط من القران الكريم ، وهذا في قوله:

مْنُورْ الآفَاقْ بْالوَقَــادْ أنَا تَكْلِي عْلَى قُلْ هَوَ الله

مَنْ خَصَّصْ الْمُرْسَلِيْنْ الْأَحَدْ الله بَنْعَمْ الآيَاتْ وَالرّشَـادْ

الصّمَدْ لَمْ يُلَـدْ الْوَاحَـدْ الله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤاً أَحَـدْ

سَبْحَانُه الْجْلِيْلْ الْفَرْدُ الصَمْـدْ لَمْ يَلَـدْ وَلَمْ يُوْلَدْ

ويستنبط أيضا من سورة الصافات:

يَا عَابَدْ إذا بْنِيْتْ مَا يَبْقَى بَنْيَـانْ حِيْطَـانَكْ تْمَسْى أَخْرَابْ

وَانْتَايَا لاَبُدَ مَنْ لِيْلَةْ لَكْفَـانْ عَظْمَكَ يَـرْشَى عْلَى الْتْـرَابْ

دِيْرْ بَالآيَة وْ جَانَبْ طْرِيْقْ الْعَصْيَانْ وانْظَرْ مَا قَـالَ فَالَكتَـابْ[1]

الدَنْيَـا خِيْمَةُ الخْـدَعْ إنّ الجَنّة حْقِيق لأَهْلْالْأَرْشَـادْ

وَأَهْلْ الزْقّومْ و اللنَّفـعْ مَازَلْهُمْ في الْجَحِيْـمْ نَارْ الأَصْفَادْ

الشاعر هنا اقتبس ألفاظ عديدة من القرآن الكريم نجد منها (التراب ،العظام ،الزقوم، والجحيم...) بالإضافة إلى ألفاظ توحي إلى معنى الموت في لفظة الأكفان وكذلك معاني العصيان؛ كلها متواجدة فيقوله تعالى:

[1]- ينظر: مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف ، الموقع الالكتروني .sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

{ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ 53 قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ 54 فَاطَّلَعَفَرَآهُفِي سَوَاء الْجَحِيمِ55 قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ 56 وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ 57 أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ 58 إِلاّ مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ 59 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ60 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ61 أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ 62 إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ 63 إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ 64 }

ويستنبط أيضا:

خَايْفْ يَا الفَرْشِي فِي نْهَارْ الرّحْلَةْ يُوْمْ الصْبَي مَا يَعْقَلْ خُوْه منْ بَابَاهْ[1]

من سورة عبس في قوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ 34 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ 35 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ36}

وحين يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، يذكره بأسماء وأوصاف مختلفة، ويذهب في كثير من الأحيان إلى ذكره وذكر أهليه و صحابته منا لمهاجرين والأنصار مثلما ارتبطت مسيرته الشريفة بتلك الهجرة المباركة، حيث يقول:

مَنْ صْفّاه جُوْفُو قَبْلَةْ سِيْدْ المُهَاجْرِيْنْ وَالأَنْصَارْ

هؤلاء قال فيهم جل جلاله في سورة التوبة الآية35 :{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

[1]- ينظر: مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف ، الموقع الالكتروني .sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

و في قوله الشاعر أيضا:

وْهَزَمَتْ قُوْمْ فَرْعُونْ ذِي الأَوْتَادْ وَاشَهْرَتْ بَسْيُوْفْ امْهَنّدْ

وَخَلِيْتْ من جُيُوشْ الشَيْطْانْ بْلاَدْ أنْتَ العَزِيْزْ يَا مْحَمَدْ

هذه هي الطريقة التي اختارها الشاعر للتعبير عن وحدة الرسالة السماوية التي جاهد من أجلها الرسل والأنبياء لتصل في النهاية إلى خاتمهم عليه أفضل الصلوات والتسليم، إنّه خطاب تحدّث فيه صاحبه عن قوم قريش بذكر محمد صلى الله عليه، وعن سيدنا موسى بذكر آل فرعون، حينها اتحدت الأشخاص والأقوام كما اتحدت الرسالات السماوية

وقوله في قصيدة، "الف استمثلو اكلامي"

بِمَا فِي سُوْرَةُ نُوْنْ من عْظَمَةُ عْلى الْقَدْرْ وَ انَكَ لَعَلَى خُلُقْ عَظِيْم

وهذا اقتباس من قوله تعالى في سورة القلم الآية 4: {**ألاَ إنَكَ لَعَلَى خُلُقْ عَظِيْمْ** }[1]

كما قال أيضا :

خَمْسِين اَلَفَ سْنَةُ فِي ذِيْكْ الْحَضْرَةُ يُوْمْ لاَ يَنْفَعْ لاَ بَنُوْنْ وْلاَ مْالِي

الشاعر استنبطها من قول الله تعالى في سورة المعارج الآية 4 :

{تَعْرُجْ المَلاَئِكَةُ وَالرُوحْ إِلَيْهَ في يَوْمْ كَانَ مَقَارُهُ خَمْسِي آلْفْ سَنَةُ}

ونجد أن الشاعر جسد سورة الفاتحة، بشكل كبير في قصيدته "لو لا نت " فقال:

[1] – ينظر :مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف

الموقع الالكتروني :sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

الحَمْدْ الله رَبْ العَالَمِيْنْ رَحْمَانْ فِي الدَنْيا وَ فْي الآخرَه رَحِيْمْ

لَكْ يَوْمْ الدِيْنْ وَارَثْ الْوَارْثِيْنْ ماَ نَعْبَدْ سِوَاهْ يَمْحِيْ جَرَايْمِي

آيَاكِ نَعْبُدْ وَاَيَاكْ نَسْتَعِيْنْ يَا فَكَاكْ الْحَاصْلِيْنْ فِيْ بْحَرْ طَامِي

اَهْدِنَا يَامَهْدِي لَلْهُدَى وَالْصْوَابْ صِرَاطْ الْمُسْتَقِيْمْ صِرَاطْ اَلَذِي

اَنْعَمْتَ عَلَيْهَمْ غَيْرَ الْمَغْضُوْبْ عَلَيْهِمْ سِوَى اَلْيَهُودْ اَلضَالِيْنْ[1]

فنجد العبارات ومعاني الألفاظ الموجود في سورة فاتحة الكتاب قد أحضرها لخضر بن خلوف في قصيدته، كما نجد ذلك في قصيدة ابقوا بسلامة، جسد أيضا سورة (الشمس).

اَقَرُوا سُوْرَة الشَمْسْ وَ ضُحَاهَا هَي تْكُوْنْ تَأْسِيْسْ نَحْتْ اللَحُوْدْ

وْكَفَ لها النْـهَارَ اِذْ جْـلاَهَـا وَاللِيْلْ هَذَاكْ يَخْشَاهَا بَالرْعوْدْ

وَ السْمَاء وْمَا بَنَاهَا اَسْمَعَ النْدَا وَالاَرْضْ بْقَدْرْ تَوصَحْاهاَ

وَنَفْسْ وْماَ سَوَاهاَ بَالْمُوتْ جَاهَداَ فَأَلْهَمَا فُجُوْرَهاَ لِلمَخطُوف[2]

[1] – بخوشة محمد ، الديوان، ص72.

[2] – ينظر: مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، الموقع الالكتروني : sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

تتمحور جُلّ قصائد الشاعر حول مدح الرسول صلّى الله عليه وسلم، لذلك لُقّب بمدّاح الرسول، وهذا ما جعله يستخرج كل ما في ذاكرته من ألفاظ دالة عن شخصه – عليه الصلاة والسلام– فيذكره بأسمائه وأوصافه وخصاله، وينسبه إلى أصله وقومه، بل ويذكره حتى بذرّيته، فيقول:

دْخِيْلَكْ بْفَاطْمَةُ مْعَ بَابَاهَا وْزَوجْهاَ حَيدْرة اَعْطَاه الهُادَي

لَحْسَنْ وَالَحُسِيْنَ نَعْم وْلاَدْهاَ بَنْتَ الَمُصْطَفَى ُلرّسُولْ مُحَمَدْ

ويناديه :

بذِيْكْ يَعْلاَ رَاسِي يا تاَجْ كُلْ أَمِيْرْ يا بَنْ سَعْدَيَةُ يا سِيْدْ فاَطْمَةُ[1]

هكذا يمتد حب الشاعر للرسول صلى الله عليه وسلم لمسّ أهل بيته الكرام وكل من هو قريب منه، بالعمل بتلك الوصية التي تركها أبو بكر الصديق رضي الله عنه:" عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه متفق عليه أنّه قال: "ارقبوا محمّدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته، رواه البخاري. معنى ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه، والله أعلم."[2]

ج – الرمز الصوفي(الرحلة،الطبيعة)

إن التجربة الصوفية جعلت من اللغة التعبيرية عند الشعراء تعمل على مستويين، حيث عبروا بالألفاظ إذ شكلوا معجم لغوي خاص بهم، وهذا ما لمسناه من شعر لخضر بن خلوف لعدم قدرة

[1] – ينظرمختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، الموقع الالكتروني sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

[2] – أبي زكريا يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين،دار أحياء التراث، لبنان،1983، ص128.

اللغة القاموسية من ترجمت الأحاسيس والشعور للحياة الروحانية التي يعشونها كما أنها لم تتمكن من تصوير تلك التجربة الوجدانية.

فالشاعر الصوفي لجأ إلى الأسلوب الخيالي الغير المباشر يتخطى به اللغة العادية ويخترق تلك القواعد الثابتة لها، حيث يمكنه صياغة وإسقاط تلك الدلالات الشعرية وهذا هو الأسلوب الجمالي هي اللغة الرمزية.

كما تجلت لنا النزعة الصوفية للخضر بن خلوف بخصوصية الألفاظ التي استعملها وهذا يبين تميز شعره بالرمزية الخاصة بالصوفية، فالشاعر الصوفي عاش تجربة الحب الإلهي فوجد ميدان الغزل الإنساني مجال لتعبير عن حبه ، ونجد لخضر بن خلوف كباقي الشعراء الصوفيين رمز لوحي تلك التجربة التي عاشها وعبر عنها بأسلوب خيالي غير مباشر، فعن حبه لرسول (ص) نجد قوله:

طَالْ الَغْرَامْ وَنْقَصْ جَهْدِيْ فِيْ مْدِيْحْ الْهَاشْمِيْ الْمُخْتَارَ[1]

هنا امتزج حب الشاعر بكلمة الفناء، حيث لا يرى غير حبيبه حتى غاب عن نفسه، فهذا رمز عن شدة الحب عند الصوفيين لذات الإلهية والرسول(ص)إلى درجة التعب والفناء.

وقال أيضا في نفس القصيدة:

الْعَشْقْ بَانْ ؤ أَنْفَضَحْ سَري وْلَذَاتْ فَانْيَةُ مَذْهُوْلَة

[1]– عبد القادر دواجي، الشعر الشعبي الديني الجزائري الملحق ، ص280.

الْعَيْبَ زَامْ وَ نْحَنَى ظَهْرِيْ يَاحَسْرَة في ذِيْكْ الطُوْلَةُ

لَوْ زَوْجْتِي تبْوُحْ بْخَبْرِي مُحَالْ لْيِلَ تَبْغِيَ كُلْهُ[1]

الشاعر جسد لنا حبه لذات الإلهية في رمز المرأة إذ يتبين أنه يحب امرأة غيرة زوجته ، فالشاعر يصرف نضر المتلقي إلى ما يرمي إليه وهذه هي ميزة الصوفية في شعرهم، ونجد أيضا في قصيدة "أحوال الدنيا كيف تكون" قوله:

حَبَكْ فِيْ سَلْطَانْ جَسْدِي مَاعَزْكْ يَاعِيْنِي وَاحَدْ[2]

نرى الشاعر هنا أن حبيبه امتلكه إذ هو سلطان جسده، وهذا رمز لقوة الحب وذوبانه في ذات الإلهية، تعبيراً لغياب الشاعر.

وفي قصيدة "اختار الأحد أحد"

سَعْدِي بْسِيْدْنَا مُحَمَدْ انْتَ الْعْزِيْزْ يَامَعْزُوزِيْ[3]

في هذا البيت غزل من نوع أخر، الشاعر مدح الرسول الكريم وتغزل به، إذ امتزج المديح بفكرة الكشف عند الصوفيين.

فْلاَجْ أَسْنَانْ مُبْتَسِمْ بَاهِيْ الْغُرَةُ كَأَنَهاَ شَمْسْ مَنْ جْبِيْنُه تْضَوْلِيْ

[1]– عبد القادر جلول دواجي ، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف الملحق الشعري، ص283.

[2]– بخوشة محمد ، الديوان ،ص41.

[3]– بخوشة محمد ، الديوان ، ص63.

يابَهِي الَسُرَ وَ باَهِيْ لَبْسَمْ كْـــحِيْـــلْ الْنـــَجـــْلَـة[1]

ويبرز الكشف هنا عن الصفات الخلقية للنبي الله محمد(ص)،باهي الغرة،جميل الابتسامة وكحيل العين.

1 – رمز الطبيعة:

إن الطبيعة من الرموز الحاضرة بكثرة في الشعر الصوفي، فهي رموز تكميلية لرموز لأخرى لكي تترجم ما يعيشه الصوفي من حب الإلهي ولوعة الشوق والحنين وذلك الحب العفيف الطاهر لرسول(ص)، إذ هذا الرمز يحمل معاني عميقة لدى الصوفي ،وتتجلى ميزة شعرهم في ذلك التوظيف المحكم و المنسجم لرمز الطبعة لتبيان تلك العواطف.

نجد لخضر بن خلوف قد عبر عن حبه وولعه لمحبوبه وذلك في مدحه للرسول في قوله:

الْشَمْسَ وَ الْقَمَرْ الْقُبَةُ طاَلْعَةُ وَالْنُوْرْ بَانْ ساَطَعْ مَنْ ضَيْ عْجِيْبْ[1]

فالشاعر وظف هنا لفض (الشمس و القمر) " فرمز الطبيعة حيها وجامدها،لم تكن في الشعر الصوفي معزل عن رمز الجوهر الأنثوي ، مما يهدي إلى أن الصوفية قد بسطو شعرهم في المرأة وامتدوا به في نسيج الأشياء"[2].

[1]– عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف الملحق الشعري، ص290.

[2]– عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، ص306.

الصوفي دائم الحيرة من هذا الكون فهو يحس بالغربة وأن الكون يسوده الظلام فلا ينقشع إلا عند الاتصال بذات الإلهية لكي يستمد منها ذلك النور الذي ينير هذا العالم .

قال في قصيدة التوبة :

عْرَب الْسْيُوفْ مْهَنْدَةُ افْتَكَرِي لِيْلْةُ الْقَبْرَ كِيْفْ تْوَاسِيْ لِيْنَفَسِي[1]

إن كلمة الليل تحمل دلالات ومعاني عن عدم الوضح والجهل لشيء ، والظلام ،معناه وجود حجاب، كما توحي إلى الخوف، الحزن، ففي هذا البيت تحمل دلالات الخوف وحُب الاستكشاف عن ليلة القبر.

و من الصور التي اهتم و اعتنى بها الصوفي لفظ الشمس ، فهي تتلاءم مع الشعور الروحاني الذي يعشه كل صوفي .

وفي ذلك يقول لخضر بن خلوف:

الشَمْسْ وَ الْقَمَرْ الْقَبَةُ طَالْعَةُ وَ النُوْرْ بَانْ سَاطَعْ مَنْ ضَيْ عْجِيْبْ[2]

الشمس عند الصوفيين ارتبطت بالمعرفة التي تكشف عن الحقيقة الإلهية، فهي تشعل أنوار في نفس الصوفي، ليبصر وتتراء له كل تلك الحقائق وصفات محبوبة.

[1]– عبد القادر دواجي الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، ص298.

[2]– المرجع نفسه ، الملحق الشعري، ص290.

إلى جانب كلمة الشمس نجد كلمة البحر، التي بدورها عبرت عن عدة معاني عميقة لدى الصوفيين من الجمال ، أو كونه دليل للعمق وضلال ، وهذا في قول لخضر بن خلوف :

ذا اَلْبَحَرْ عْمِيْقْ اللِي سَكْرَانْ فِيْقْ ماَتْوَدْ رِيْقْ فِي نْهاَرْ[1]

2 – رمز الرحلة :

الصوفيون لا يستقرون في مكان واحد فهم دائموا الترحال والتنقل وهذا حب الاستكشاف المتربص في أعماقهم، للوصول إلى الحقيقة والكشف عن عظمة الذات الإلهية، فالسفر هو مسلك إلى الله

إن رمز الرحلة في الشعر الصوفي ذو دلالة خاصة يختص بها ذلك الشخص الذي يتصل روحيا وجسديا مع ذات قد عشقها و أراد قربها، كما يتجلى ذلك عند الصوفيين في شوقهم إلى الذات الإلهية .

فهنا الرحلة تكون نحو عالم شاسع بعيد عن عالمنا المادي ، فمن شدة الشقاء والعناء في تلك الرحلة التي قام بها الصوفي إلا أننا نجده راضي، فهو تعب من أجل الراحة وذلك لينال ويرتوي غليله من تقربه من ذلك الحبيب الذي طالما تفانى في حبه له.

توظيف الشاعر لرمز الطبيعة واسع جدا فالأمثلة كثيرة ففي قصيدته "أحوال الدنيا كيف تكون"، يقول:

فاَلصَوَاعِقْ تَكْثَرْ لَلْرَعُوْدْ قْرِيْتْهاَ فِي الاَسَاطِيْرْ ومَيَزْيَاَ فْلاَنْ

[1]– عبد القادر دواجي الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف، الملحق الشعري ، ص298.

يَصاَرْ عْظْمُ اتكبارللناس قابلة يعود عبد السودان بشنايفة الوان

وقال أيضا :

وْالكَوَاكِبْ اَحدا عَشَرْ تْدُوْرْ تَتَقْوَى الْزَلازَلْ و الصْوَاعْق وْ الشْهاَبْ

و نجد أيضا :

الارْضْ بْدُونْ مْطَرْ تْعُودْ خاَوِيَةُ وَالسْيُوْلْ تَتَفْايَشْ وَ الْقَمْحْ فيِ الْحْدُودُ[1]

كما نجد قوله في قصيدة: ابقوا بالسلامة :

الطُوْبْ وَ الْحْجَرْ عْلِيْهُمْ تْباَتْ مَتْوَسْدةُ وَالنَاسْ نَايْمَةُ بِيْنْ الْخْلُوقْ وْدْفُوْفْ

وفي موضع آخر من نفس القصيدة يقول:

المَاء يْكُونْ طاَهَريَمْزَجْ فِيْهْ الْشْفاَفْ هاَذِيْكْ عاَدَةُ اِمامْ الْمُرَسْلِيْنْ[2]

ويقول :

مَنْ سُوْسْ الْجْبَلْ الاَخْضَرْ زَايْدَ بْرَجْهاَ الْحْجَرْ الصَماَءْ يَرْجَعْ لِيْ طُوْبْ[3]

[1]– ينظر: عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف الملحق الشعري ، صصص286 –187–188.

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص290.

[3]– المرجع نفسه، ص293.

نستنتج أن الشاعر وظف كل أشكال الطبيعة من (الماء ،الأرض ،الزلزال ،جبل حجر، سيول الكواكب، صواعق، النيران، المطر).

"فتوظيف الطبيعة جزء من العُرف الصوفي ،فهو يسعى دائما إلى اكتشاف هذا الكون لمعرفة الله تعلى فالطبيعة رمز للذات الإلهية و على ذلك كان يتعشقون في الكون، إن صح التعبير،لذلك شمل حبهم كل مظاهر من مظاهر الوجود و عمّ الطبيعة الساكنة منها والمتحركة،و لا نقول الصامتة والناطقة لأن الطبعة بالنسبة للصوفي ناطقة كلها في سكونها وحركتها"[1].

الشاعر لخضر بن خلوف أحب الطبيعة ووظفها في شعره بكثرة ، هو يرى من خلالها التجلي الإلهي والطبيعة ليست إلا إنكشاف للذات الإلهية وهذا هو مسعى كل صوفي.

د– الكرمات :

كما سبق الذكر أن الله خص" بن خلوف " بالولاية الصالحة، فقد جسد لنا الشاعر ذلك في شعره فهو كباقي الأولياء الصالحين ، أين تظهر هذه الكرامات في الشعر الشعبي الصوفي .

يقول الشاعر:

يَعِيْنِيْ شَفْتْ ٱلْمَدِثْر مَنْ شافُه ماَ يْشُوْفْ غَلْباَ

[1]– محمد عيش، الشعر والخطاب الصوفي ، ص147.

شْفِيْعْ الخَلَقْ بوْرِقْيَةُ البارَحْ فِي الَمْنَامْ رَيْتْ الْعَدْنانَيْ[1]

فهنا الشاعر صرح برؤيته لنبي محمد (ص) فهي كرامة يتمتع بها الأولياء والعازفين عن الدنيا والعاشقين للقاء المحبوب سيدنا محمد (ص).

وفي قوله أيضا:

يُوْمْ الْجَمْعَةُ طَلْعَتْ سارِيْ لَلْعْبادْ ثَمْ نادِىْ وْهَبْ لِيْبُومَكَحْلَةُ

نْصِيْبْ مْغَارَةُ مْجاوْرَةُ سِيْدِي غَبْ وَقَفْتَ علَى السجود مانْحُو الْقَبْلَةُ

نْظَرْتْ خْيالْ جايْفَدْفَدْ كالْفَدْفادْ يامَا حَسْنُه زِيْنْ مَكْحُولْ الْطُوْلْ[2]

ومن كرامات التي وظفها أيضا في شعره نجد:

هَذاَ بَرْكْ وَالَا جِيْتْ بَرَانِي يا رَاس الْمَحْنَةُ الله جاوْبْنِي

والا كُنْتْ انْتَيا في بْلاَدَكْ رَايْسْ خاطْرَكْ شاَعْ فِي ناَسْ شاَفُوْ شْفَاه

انَا اسَمْي الْهَاشْمِي بْنُونَه مُولَى حَكْمَةُ ذَلْكَ كْبِيْرْ طُوْقِي[3]

وهي كرامة الجمجمة والرد على سؤال الخضر بن خلوف، و كرامة الجزم بوقوع شيء في المستقبل :

اذاَ طَالْتْ عَمْرَكْ تْشُوْفْ ماَ تْشُوْفْ تْتفَكَرْنِي و لَوْ كُنْتْ فِي الَكْفَانْ

---

[1] – بخوشة محمد ، الديوان، ص93.

[2] – ينظر مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، الموقع الالكتروني : sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

[3] – عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف الملحق الشعري، ص308.

وَتْقُوْلْ ماَ قاَلْ الشاَعَرْ وَلْدْ خَلُوْفْ الله يَرْحَمْ عْظَامُه ياَ اَهْلْ اْلْحسَانْ[1]

هـ– البسملة :

كما تبرز النزعة الصوفية عند لخضر بن خلوف في الافتتاحية التي يضعها في معظم قصائده " وتكون بالبسملة والصلاة على النبي (ص) ، ومثال عن ذلك: في قصيدة التوبة وقصيدة ابقوا بالسلامة.

يقول في الأولى:

بالله الحَمْدْ نَبْدَا رَبْ الْعَرْشْ الْعْظِيْمْ وَاللُوْحْ وَ كُرْسِيْ[2]

أما في الثانية :

بَسْمَ إِلاَ لله رَبِي فِيْ نْظَامِي نَبْدَا سَبْحَانْ الَكْرِيمْ الحَيْالرَوُفْ[3]

[1]- ينظر :مختارية بن قبلية، المعجم الديني في شعر لخضر بن خلوف، الموقع الالكتروني :sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

[2]- عبد القادر جلول دواجي، الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف الملحق الشعري ، ص298.

[3]- المرجع نفسه، ص288.

لقد اتضح لنا من خلال دراستنا لهذا البحث أن الأدب الشعبي الجزائري فيه من الزخم والتنوع ما يغري الباحثين ببحثه وسبر غوره واستخراج ذخائره ولعل أبرز ما يغلب عليه الجانب الديني وذلك راجع إلى تأثير الدين الإسلامي في نفوس أبناء الوطن،لذا نلاحظ أن معظم الشعراء كانوا من الفقهاء و المتصوفة.

وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج هي كالآتي:

1- يعد التصوف جانبا من أخص جوانب الحياة الروحية في الإسلام، و هو تجربة وسلوك قبل أن يكون مذهبا وفكرا، لأنه يخوض في عمق العقيدة واستلهام ظواهر الشريعة، وتأملا لأحوال الإنسان في الدنيا، وتأويلا للرموز.

2- عرفت الجزائر التصوف في فترة متقدمة نظرا لتداخل بين دول المغرب العربي من حيث التاريخ والفكر و الثقافة و الدين،وأضحت الطرق الصوفية من بين العوامل التي ساعدت على استمرار التصوف في الجزائر.

3- لا أحد ينكر أن الشعر الديني ارتبط بظهور الدعوة الإسلامية وقد كان الشعر الصوفي تجربة روحية ولغوية متميزة فسماته الالتزام و الصدق الفني و الديني و الإنسانية .

4- إن التجربة الصوفية في الشعر الجزائري تجربة تداخل فيها الفكر بالإبداع فقد ترجمها الشاعر الصوفي معبرا عن رؤيته في قالب فني ديني.

5- يعد الشعر الشعبي المتنفس الحقيقي و الوحيد لعامة الناس من أزل بعيد فهو يعبر عنه بلغته وأسلوبه الشعب وهو الوعاء الذي يصور تجاربه النفسية والثقافية والتاريخية والفكرية.

6- إن الشعر الشعبي الجزائري رغم اختلاف تسمياته لكنه يبقى يرصد الكثير من عادات وتقاليد الشعوب وهو قيمة فنية وجمالية كبيرة، فهو مرآة عاكسة لحياة الجماهير الشعبية يصور واقعها تصويرا رائعا بكلمات بسيطة شاعرية وأنغام عذبة ويتميز بالروح الوطنية.

7- تأثر الشعر الشعبي بالعقيدة الإسلامية أدى إلى انتشار ، المدائح الدينية والتغني بالمناسبات الدينية المختلفة بشكل واسع .

8- للشعر الشعبي الديني نفس أغراض الشعر الفصيح إذ أن كلها تصب في مصب واحد فأغلبية الشعراء يتطرقون إلى أهم غرض و المتمثل في مدح إمام المرسلين عليه أزكى وأفضل تسليم إضافة إلى مواضيع أخرى كالرثاء،التوسل ، الزهد،ذكر الأولياء الصالحين،الوصف الشعر القصصي فكلها مواضيع دينية.

9- لغة الشعر الشعبي الديني هي لغة عامية من تأليف الشعر تعبر عن نفحات شعبية، فهو لا يقوم على قواعد لغوية ،لكنه يحمل جماليات لغوية وأسلوبية بين ثناياه.

10- إن القصيدة الشعبية الصوفية غالبا ما يتكرر بناءها في سائر القصائد الشعبية الصوفية فبدايتها تكون ببسملة ثم يتبعها التوسل وبعد ذلك يعرج الشاعر إلى ذكر موضوعه الديني

ثم يوقع الشاعر القصيدة بذكر اسمه ثم يختمها في الأخير بالصلاة على النبي و الدعاء لآل بيته و أصحابه.

9-يعد سيدي لخضر بن خلوف أحد فحول الشعر الشعبي الديني فقد خلف في شعره سجل حي وكنز لا ينفى إذ نقل لنا الواقع المعاش بكل تفاصيله طيلة قرون مضت ،تطرق إلى ذكر الحياة الإقتصاديةوالإجتماعية و السياسية و الثقافية و الدينية .

10- لقد صبغ الشعر لخضر بن خلوفالمديح النبوي فاقترن اسمه بمدح الرسول صلى

الله عليه وسلم لكن هذا لا ينفي تعرضه لمواضيع أخرى كالزهد ،التوسل ،الوصية

والقصص الدينية و الجفريات ،فكلها تعكس صورة البيئة أو المجتمع الديني الذي ترعرع فيه سيدي لخضر بن خلوف، وتنوع المواضيع التي تناولتها القصيدة الخلوفية دليل على التجربة الشعرية الكبيرة للشاعر.

11-تأثر شعر سيدي بن خلوف بالنص القرآني فقد استوحى منه تعابيره وألفاظه فجاءت قصائده تنبض بمفردات القرآن الكريم ،كما يبدأ الشاعر بالبسملة يذكر فيها أسماء الله الحسنى و الرسول(ص)من أجل الشفاعة و الرضوان ونيل الثواب في الآخرة .

12-تخللت الرموز الصوفية القصيدة الخلوفية فيظهر فيها العشق الإلهي و الرحلة الروحية في عشق الذات الإلهية و رمز الطبيعة الذي ينصب دائما في الحب الإلهي والكرامات التي تثبت ولاية سيدي لخضر بن خلوف.

13-يتضح جليا أن شعر بن خلوف شعر ديني (صوفي)محض غني بمآثر الدين الإسلامي.

وبعد هذا البحث المتواضع وما يعتريه من خلل ووهن نرجو أننا قدمنا دراسة ولو بسيطة لتراثنا الشعبي نكون فيه قد نفضنا الغبار ولو بمقدار ضئيل على شعرنا الشعبي الأصيل مع التمني للإنطلاق نحو بحوث قادمة تساهم في كشف خبايا هذا الموروث الشعبي الذي يعبر عن عراقة أجدادنا وأصالة أسلافنا .

الحمد لله بدءا و ختاما،وصلى الله وسلم على**سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين**.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

الحديث الشريف

قائمة المعاجم العربية :

1- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، ط6، لبنان،1997ص409.

2 – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، دار العلم بيروت، 1984م.

3 – سعاد الحكيم، المعجم الصوفي في حدود الكلمة، دار دندرة للطباعة والنشر 1981م

4 – محمد سمير نجيب اليدي، معجم المصطلحات النحوية الصوفية، مؤسسة الرسالة بيروت.

5 – يوسف محمد رضا، معجم العربية الكلاسيكية والمعاصيرة، مكتبة لبنان الناشرون،ط1

الدواوين :

6 – بخوشة محمد الغوثي، ديوان سيدي الأخضر بن خلوف، شاعر الدين والوطن،مطبعة الشمال الإفريقي، ط 2، الرباط ،1958م.

كتب العربية :

7 – آبي زكريا يحي بن شريف النووي، رياض الصالحين، دار أحياء التراث، لبنان 1983م.

8 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائ،1981م.

9 – العربي أبي مصطفى الشوار، أبو مدين شعيب، مطبعة الترقي، دمشق،1983م.

10 – احمد عبيدلي، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس السابع هجريين، دراسة موضوعية فنية ،

11 – إبراهيم علي أبو الحسن، تاريخ الأدب في الأندلس، دار الفكر العربي القاهرة، 1970م.

12 – ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،المجلد 2، 1984م.

13 – الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة، 2004م.

14 – الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تر رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1981،2م.

15 – أمين يوسف عودة، تأويل الشعر، فلسفة عند الصوفية، عالم الكتب الحديث، ط1 الأردن ،1983م.

16 – إيليا الحاوي، فن الوصف و تطوره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني،لبنان دار الكتاب المصري، القاهرة.

17 – بخوشة محمد،كتاب، كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ،دار ابن خلدون ،2004

18 – بن شيخ تالي ندور الشعر الشعبي في الثورة ،1880-1945، مخطط،1977م.

19 – خالد بالقاسم ، الكتابة و التصوف عند ابن عربي ،دار تويقال للنشر ط1 2004م.

20 – سامي الدهان ، المديح ،دار العاريف ،ط2 ،القاهرة ،1968م.

21 – ساعد خميسي ن أبحاث في الفلسفة الإسلامية ،دار الهدى ، الجزائر ،2002م.

22 – عبد الحكيم عبد الغاني قاسم المذاهب الصوفية ومدارسها ،مكتبة مديولي ميدان طلعت حرية ،القاهرة ،1999م.

23 – عبد العزيز عتيق ،الأدب العربي في الأندلس ،دار النهضة العربية ،بيروت 1967م.

24 – عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية في التصوف،تر معروف رزيق و علي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير للطباعة و النشر والتوزيع،دمشق،1995م.

25– عبد الله الركيبي الشعر الديني الجزائري الحديث–الشعر الديني الصوفي–دار الكتاب العربي للطباعة النشر و التوزيع.

26– عباس الجراري ،الزجل في المغرب –القصيدة– مطبعة الأمنية المغرب ،ط1 1970م.

27 – إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي ،عصر الطوائف و المرابطين ،دار الثقافة بيروت ،ط3،1992م.

28 – عبود زهير كاظم ، قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي ،ط1 ، السويد،2003م.

29 – علي دبوز. تاريخ المغرب الكبير.، مطبعة البابلي.،ط1 ،1964م.

فيصل بد يرعون ،التصوف الإسلامي الطريق و الرجال،مكتبة سعيد رأفت،مصر،1983م.

30 – كانتينواجان،دروس في علم الأصوات العربية،تر:صالح القرمادي، ،الشركة التونسية لفنون الرسم،1966م.

31 – محمد بخوشة محمد،كتاب ،كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ،دار ابن خلدون 2004،المرزوقي ، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر، تونس،ط 5 ،1967م.

32 – حامد الغزالي،إحياء علوم الدين،مكتبة الوكيل الدروبي،دمشق،سورية ،د ط .

33 – محمد بن ربيع هادي المد خلي ،حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب و السنة،مدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

34 – محمد رمضان الداية ،في الأدب الأندلسي ،دار الفكر ،بيروت،لبنان، دار الفكر المعاصر ،دمشق ،سورية ،ط1،2000م .

35 – محمد عبد العزيز سيدي أعمر ،كتاب مفتاح العلوم بحل ثلاثة من أنواع الفهوم ،التوحيد و الفقه والتصوف،المطبعة العربية ، غرداية،الجزائر ،دط،1998م،ج2

36 – محمد عبد المنعم خفاشي، الأدبفي التراث الصوفي، دار غريب للطابعة .

37 – مصطفى حلمى،الحب الإلهي في التصوف الإسلامي،دار القلم،مصر1970م.

38 – د.منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر و المغرب، منشأة المعارف الإسكندرية.

38 – يوسف زيدان عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988م.

39 – يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1999م.

40 – الخازن ، منير وهبة ، الزجل تاريخه أدبه أعلامه قديما و حديثا ، المطبعة البوليسية،حريصا، لبنان ،1952م.

المجلات و الدوريات :

41 – –جمعية آفاق، سيدي لخضر بن خلوف،حياته و قصائده،ج1،دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران 2006م.

42 – طيب جاب الله ،" دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري " ،معارف،(مجلة علمية محكمة)، ع14، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية .

43 – عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي في الشعر المغربي القديم،مجلة الأدب

و اللغات، ع5،جامعة قصدي مرباح،الجزائر،2006م.

44- عبد اللطيف حني،المدائح النبوية في الشعر الشعبي الجزائري،مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، الجزائر،2012م.

45 – عمر محمد جمعة، « عرض و قراءة في كتاب مدخل إلى دراسة التصوف"، مجلة التراث العربي – مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- العدد4.

46 – قايد سليمان مراد،الشعر الصوفي الشعبي البنية و الرؤيا،مجلة الأدب واللغات، ع6،جامعة قاصدي مرباح،الجزائر،2007م.

48 – محمد العربي ،الحركة الصوفية في القيروان في القرن الثاني إلى القرن الرابع،مجلة الحياة الثقافية وزارة الشؤون القافية تونس، ع40،1986م.

49- وليد صديق ملحم،البنية اللغوية والصوتية للهجة بغداد، مجلة التراث، ع4،وزارة الثقافة و الإعلام العراق، العراق،1980م.

المخطوطات :

50- أحمد عبيدلي ، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس و السابع هجريين ،دراسة دراسة موضوعاتية فنية، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في الأدب المغربي القديم ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ،2005م.

51- أحمد قنشوبة،البناء الفني في القصيدة الشعبية الجزائرية في منطقة شمال الصحراء نموذجا1850-1950م،مخطط أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث،جامعة العقيد الحاج لخضر،2007م-2008م.

52 - زينب القني ،التجربة الصوفية في الشعر الجزائري القديم ،عنوان الدراية للغبريني -عينة- ،مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستر أدب جزائري،جامعة قاصدي مرباح – ورقلة- ، 2008م.

53 - سالم بن لباد ، تمثلات الشعر الشعبي لشخصيات سياسية (الشيخ بوعمامة ابن باديس، عبد العزيز بوتفليقة)، مخطط أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الشعبي ، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- ،2013 م.

54-عاشور سرقمة،الشعر الشعبي الديني في منطقة توات-سيدي محمد بن المبروك نموذجا ،مخطط لنيل شهادة المجاستير في الدب العربي،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2003-2004م.

55 - عبد الرحمان حميان ،المديح النبوي في شعر سيدي لخضر بن خلوف،دراسة في الموضوعات و الشكل، مخطوط رسالة الماجيستر في أعلام الشعر الشعبي الجزائري،جامعة أبي بكر- بلقايد تلمسان-،2011م.

56 - عبد القادر جلول دواجي ،الخطاب الشعري عند سيدي لخضر بن خلوف،دراسة تحليلية، مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب الشعبي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2000م.

57 – علي بن شريف عبد الإله ،مرجعيات مفرادات الطرق الصوفية في منطقة تلمسان –دراسة معجمية دلالية –،مذكرة لنيل شهادة ماجيستر ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان ،2004م.

58 – قويدر قيداري الحضرة في منطقة أولاد النهار ، دراسة تاريخية و فنية ،مخطوط رسالة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ،جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان،1999م.

59 –يوسف العارفي ،الشعر الشعبي في منطقة سور الغزلان– دراسة اثنوغرافية– ،مخطط رسالة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الشعبي،جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012م.

المواقع الإلكترونية :

sttps://SHZLG.COM

http://wwwalbordj.blogspot.com

sttp:// WWW.globard et work.co

sttps://www.ziedan.com

sttp:// WWW .KASNAZAN.COM

sttps://WWW .STARTIM.COM

sttps://www.folkculturebh.gor

sttps://wwwmbenkablia.blogsot.com

sttps**://** revues .univ-ouargla .dz

فهرس الموضوعات

العنوان **رقم الصفحة**

مقدمة **02**

المدخـل

التعريف بالشاعر الأخضر بن خلوف:

✓ **أصله ونسبه** **06**
✓ **مولده و نشأته** **09**
✓ **أسرته**..... **12**
✓ **تكوينه وثقافته** **16**
✓ **ملامح من شخصيته** **17**
✓ **جهاده** **20**
✓ **الولي الصالح** **22**
✓ **وصاياه ووفاته** **25**

الفصل الأول

النزعة الدينية في الشعر الجزائري

- ✓ مفهوم التصوف 29
  - أ- لغة 29
  - ب- اصطلاحا 35
- ✓ نشأة التصوف 38
- ✓ نزعة السلطة داخل الفكر الإسلامي..... 42
- ✓ ملامح التصوف في الجزائر..... 44
- ✓ نشأة الزوايا في الجزائر..... 47
- ✓ الشعر الصوفي: 52
  - أ-ماهيته 52
  - ب- نشأته..... 54
  - ج- عصوره 57
  - د- خصائصه 58
  - و - مواضعه 62
- ✓ الشعر الصوفي في الجزائر 65
  - أ - بدياته 65

ب– موضعه 66

الفصل الثاني

الشعر الشعبي الديني الجزائري

تعريف الشعر الشعبي 72

- ✓ إشكالية التسمية وتعدد المصطلحات.....74
- ✓ نشأة الشعر الشعبي الجزائري.....79
- ✓ شكل القصيدة الشعبية الجزائرية.....81
- ✓ الشعر الشعبي الديني (الصوفي).....86
- ✓ أغراض الشعر الشعبي الديني(الصوفي).....90
- ✓ اللغة الشعرية في القصيدة الشعبية الدينية (الصوفية).....102
- ✓ البناء الموضوعي للقصيدة الدينية عند الشعراء الشعبيين.....114
- ✓ في القصيدة الشعبية الدي.....115

الفصل الثالث

التجربة الشعرية الصوفية عند الشاعر بن خلوف

أولا : من حيث المواضيع.....119

ا– المدح.....120

ب– الزهد.....128

ج – التوسل.....130

د– الشعر القصصي (القصص الدينية).....133,

هـ– الوصف.....136

و– الوصية 139

م – الجفريات.....141

ثانيا : من حيث اللغة.....144

أ– الألفاظ.....144

ب– توظيف المعجم القرآني.....149

ج– الرمز الصوفي (الرحلة،الطبيعة).....154

د- الكرامات.....**160**

هـ- البسملة.....**162**

خاتمة.....**164**

قائمة المراجع والمصادر.....**169**

فهرس الموضوعات.....,,,,,.....**178**